الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

حركية الأنساق الثقافية في شعر أبي العلاء المعري

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: أدب عربي

التخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة
*- نجوى بوقاقة

إشراف الأستاذ:
*-هشام باروق

السنة الجامعية: **2014/2013**

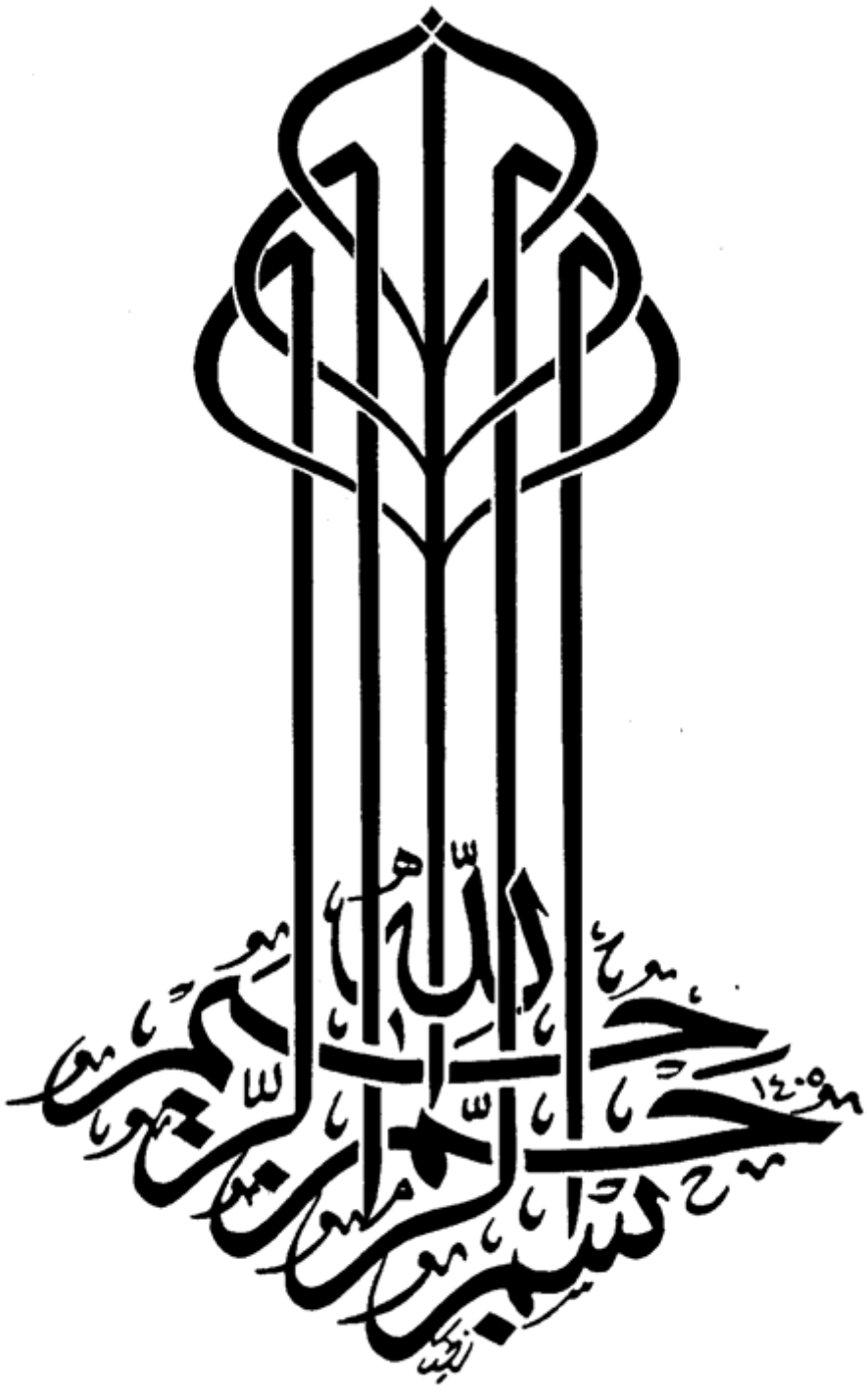
بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٠٩

دعاء

اللّهم لا سهل إلّا ما جعلته سهلًا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلًا فسهّل أمورنا برحمتك يا أرحم الراحمين

ربِّ اشرح لي صدري ويسّر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقه قولي

لا إله إلّا الله الحليم الكريم سبحانك اللّهم، رب العرش العظيم والحمد لله ربِّ العالمين، أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كلّ إثم والغنيمة من كل بر والعصمة من كل ذنب، لا تدع لي ذنبا إلّا غفرته ولا كربا إلّا فرّجته ولا حاجتي في النجاح إلّا قضيتها يا أرحم الراحمين

آمين يا رب العالمين

شكر وعرفان

الحمد لله على نعمة

الحمد لله على كرمه

أشكر الله عز وجل الذي ألهمني الصبر في إنجاز هذه المذكرة، وها هي مسيرة خمس سنوات تحتضر، وها هي الأيام تنجلي ولا يسعني إلا أن أتقدّم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ "هشام باروق"

كما أتقدم بالشكر الجزيل والخالص إلى كافة الأساتذة الذين تناولوا على تدريسنا طوال المشوار الدراسي إلى كافة عمال الإدارة وكل من ساعدني في إنجاز هذه المذكرة من قريب أو بعيد.

مقدمة

اتسمت الحياة في العصر العباسي بكثير من التناقضات التي أثرت على حياة الفرد وأسهمت في توجيه تفكيره، كالحياة و الموت، الشر و الخير و قد صورها مجمل الشعراء في نصوصهم الشعرية، و من هنا وجدنا أن موضوع "الأنساق الثقافية في شعر أبي العلاء المعري" ترجمان لتلك الحياة بمجمل مظاهرها. إذ يعتبر موضوع متشعب بمختلف جوانبه و مهم في نفس الوقت.

فالأنساق الثقافية تعني قراءة عوالم الضد في النصوص الشعرية التي تستأهل كفاءة معرفية قادرة على معرفة الكمائن و الخبايا الثقافية و الأبعاد المعرفية داخل هذه العوالم. و التي تنعكس على الوعي الإنساني أو الحياة بصفة عامة سواء للفرد أو المجتمع الذي يمثل محطة العلاقات الاجتماعية و كذلك التناقضات من: الخير والشر، الضوء والظلام، الحياة والموت، المكان والزمان باعتبارها أنساق ثقافية و نشأت عن طريق هذا الأخير من خلال الصراعات القائمة بين الإنسان والإنسان و كذلك الزمان و المكان.

و تكمن أهمية هذا الموضوع في تقصي جوانب الحياة عند أحد كبار الشعراء في العصر العباسي ألا و هو " أبو العلاء المعري "

و يطرح هذا البحث إشكاليات تقوم على أساسها هذه الدراسة منها: ما هو مفهوم النسق لغويا و اصطلاحا؟ و ما هي الأسباب و الدوافع التي أدت إلى ظهور مثل هذه الأنساق؟ ما هي الأنواع التي ظهرت في عصر أبي العلاء المعري؟ و هل نجح أبي العلاء المعري في معرفتها و اكتشافها في مجتمعه؟

و يعزي اختياري لهذا الموضوع إلى أسباب علمية تمثلت في كشف خطايا هذه القضية من خلال المعري، و إلى رغبتي في إثراء المكتبة الجامعية بهذا النوع من الدراسات، و إلى ميولي النفسية لشعراء العصر العباسي.

و من أهم الدراسات التي أنارت لي الطريق: مثل كتاب لأحمد تيمور"أبي العلاء المعري نسبه و أخباره شعره و معتقده"، و مذكرة "الاغتراب عند أبي العلاء المعري" بالإضافة إلى كتاب "النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري" لسناء خضر و كتاب "جماليات التحليل الثقافي" لتغريد زعيميان و كتاب " المهرجان الألفي لأبي العلاء" وخاصة كتاب "جدل الجمالي و الفكري قراءة في نظرية الأنساق المضمرة عند الغذامي" لمحمد بن لافي اللويش، و مذكرة الماجستير "النسق الثقافي في الكناية" لعبد الرحمان الدايم.

و يهدف هذا البحث إلى كشف حقيقة المجتمع العباسي و الصراع القائم بين الفرد و المجتمع و المتناقضات التي شهدتها هذه الفترة، و الوقوف عند بعض الصور من خلال نصوص أبي العلاء المعري الثرية، و يظهر هذا خاصة من خلال أسلوبه و لغته الراقية التي جعلت من نصوصه نوعا ما فيها صعوبة لفهمها فهما دقيقا.

و قد اتبعت المنهج الوصفي التحليلي الذي ساعد في إعطاء تفسيرات تقرب وجهة النظر خاصة حين تعلق الأمر بوصف مظاهر الصراع بين المتناقضات الموجودة في المجتمع العباسي بمختلف جوانبه.

وقد بُني هذا البحث على مدخل و فصلين، و خاتمة:

تناولت في **المدخل** و الذي عنوانه " الأنساق الثقافية المفهوم و النشأة و التطور" حيث تطرقت إلى عناصر متعددة شملت: مفهوم النسق في النقد الثقافي لغة و اصطلاحا عند العرب و الغرب.

- العوامل الاجتناعية و السياسية و الفكرية التي أدت إلى ظهور الأنساق.

و خصصت الفصل الأول بعنوان " الشاعر وعصره " حيث تطرقت فيه شخصية المعري من مختلف جوانبه و التي تتمثل في:

- حياته
- شخصيته و أخلاقه
- عزلته و وفاته –فلسفته
- لغته و أسلوبه
- أهم أعماله الأدبية
- العوامل الاجتماعية و السياسية و الفكرية التي أدت إلى ظهور الأنساق.

أما الفصل الثاني فقد خصصته لدراسة "أهم الأنساق الثقافية في مجتمع العصر العباسي و المتمثلة في:

- النسق الاجتماعي
- النسق السياسي و الاقتصادي
- النسق الفلسفي
- النسق الديني
- و النسق الضدي بصفة خاصة، على المستويين الموضوعي و الفني.

و اشتملت **الخاتمة** على أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

و إنني أعترف أنه لم تواجهني أية صعوبات في جمع المادة العلمية، و يعود الفضل في ذلك للأستاذ المشرف الذي لم يبخل علي بتقديم المصادر و المراجع و النصائح القيمة.

و كذلك الوقت لإنجاز هذا البحث المتواضع. رغم الظروف الاجتماعية التي واجهتني.

و من واجبي أن أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ: "باروق هشام" الذي شجعني و قدم لي العون و النصح و الإرشاد خلال انجازي لهذا البحث، كما ساهمت نصائحه في إثراء هذا البحث.

و في الأخير أتقدم بالشكر الجزيل للمركز الجامعي –ميلة– الذي فتح لنا المجال للبحث وسخر لنا كل هياكله من أجل تسهيل عملية البحث.

و أقول أني في هذا الموضوع اجتهدت على قدر المستطاع فإن أصبت فهذا من فضل الله عز وجل و إن أخطأت فمن نفسي و من البدايات التي دائما ما تكون صعبة.

مدخل

إن التنوع الثقافي الفكري إبان العصر العباسي أخصب الشخصية العربية الإسلامية، وإن منظومة القيم التي وجدت بسبب التأثيرات الناجمة عن الترجمة والمناظرة والفكر الإغريقي والفارسي والهندي كانت تحت مظلة النسق الأخلاقي الإسلامي، فكان تأثير هذا النسق واضحا في تشكيل شخصية جديدة أخصبتها اللقاحات المتعددة، يعتبر الحديث عن النسق واحد مضمر مخالفا لطبيعة الثراء الناجم عن هذه اللقاحات الجديدة، فثمة أنساق مضمرة وظاهرة ويمكن تحديدها بهذه السهولة والاتجاه بها سلبا كما فعل الغدامي.

إذن ماهو النسق الثقافي؟

1 : مفهوم النسق:

أ- لغة: يجري استخدام كلمة النسق كثيرا في الخطاب العام والخاص،وتشع الكتابات إلى درجة قد تشوه دلالاتها ونجدها في " لسان العرب" تعني: النسق من كل شيء ما كان على طريقة نظام واحد، عام بالأشياء، وقد نسقته تنسيقا، ويخفف ابن سيدة: نسق الشيء ينسقه نسقا ونسقه نظمه على السواء، وانتسق هو تناسق، والاسم النسق، وقد انتسقت هذه الأشياء بعضها إضافات أي تنسقت .

والنحويون يسمون حروف العطف حروف النسق لأن الشيء إذا عطفت عليه شيئا بعده جرى مجرى واحدا، وروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال: ناسقوا بين الحج والعمرة، قال شمر: معنى ناسقوا تابعوا واتروا.

ويقال: ناسق بين الأمرين أي تابع بينهما[1].

أما في "المعجم الوسيط" فمعناه ما كان على نظام واحد، وقد تأتي مرادف لمعنى (البنية structure) أو معنى(النظام system) حسب مصطلح دي سوسير[2].

وإذا انتقلنا إلى المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية فنجدها تعني:

1-تحديد مواقع العناصر التشكيلية في الرقعة المصورة

2- تخطيط مصمم لأي عمل فني كي يسترشد به في تنفيذه، كما يدل على الإدراك الإجمالي لمشروع فني بذاته يمثل الغاية منه ويكون أقرب ما يكون إلى الحقيقة، وكذلك يعني تمثيل الأشياء المختلفة سواء كانت حقيقية أم تجريدية، وهو يمثل رؤية الفنان للموضوع لا جوهره الذي هو المضمون[3].

2- مفهوم النسق الثقافي: تعددت مفاهيم النسق الثقافي عند "الباحثين العرب" فنجدهم يضعون شروطا ومواصفات للنسق الثقافي باعتباره يتحدد عبر وظيفته نقول- إذن- إن مواصفات الوظيفة النفسية عند هؤلاء الباحثين تتمثل في:

أ-نسقان يحدثان معا في ان واحد في نص واحد أو في ما هو يحكم النص الواحد.

---

[1]- إبن منظور، لسان العرب،ط1، دار صبح للنشر ، بيروت لبنان،2006، ج 14، ص 119.

[2]- عبد الله الغدامي، النقد الثقافي في قراءة الأنساق الثقافية العربية، ط4، الدار البيضاء، المغرب، ص 12.

[3]- ثروت عكاشة، المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية، الشركة المصرية العامية لبلنشر، بيروت، لبنان، ص114.

ب–يكون المضمر منهما نقيضا ومضادا للعلني، فإن لم يكن هناك نسق مضمر من تحت العلني فحينئذ لا يدخل النص في مجال النقد الثقافي

ج–لابد أن يكون النص جميلا ويستهلك بوصفه جميلا، يوصف الجمالية هي أخطر حيل الثقافة لتمرير أنساقها.

د–لابد أن يكون النص جماهيريا ويحظى بمقروئية عريضة، ودالك لكي نرى ما للأنساق من فعل عمومي ضارب في الذهن الاجتماعي والثقافي.

هذه شروط أربعة إذا ما توفرت نكون أمام حالات الوظيفة النسقية، وبالتالي فهي لحظات النقد الثقافي.

وبهذا يكون المفهوم الإصلاحي للنسق الثقافي عند الباحثين العرب يمكن في أنه[1] يعتبر دلالة مضمرة ليست مصنوعة من مؤلف، ولكنها تكون دلالة ضمنية في الخطاب، مؤلفتها الثقافية، ومستهلكوها جماهير اللغة من كتاب وقراء.

1–أنه يعتبر ذو طبيعة سردية، يتحرك في حبكة متقنة، ولهذا فهو مصغر ويستخدم أقنعة كثيرة وأهمها قناع الجمالية اللغوية، البلاغة وجمالياتها، كالثورية وغيرها[2].

2– الأنساق الثقافية هي أنساق تاريخية أزلية وراسخة ولها الغلبة دائما، وعلامتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتوج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق، وكلما رأينا منتوجا ثقافيا أو نصا يحظى بقبول جماهيري عريض وسريع فنحن في لحظة من لحظات الفعل النسقي المضمر الذي لابد من كشفه والتحرك نحو البحث عنه، وقد يكون ذلك في الأغاني، الأزياء أو الحكايات والأمثال مثلما هو في الإشاعات والنكت والأشعار.

كل هذه وسائل وحيل بلاغية جمالية تعتمد في المجاز والتورية وينطوي تحتها نسق ثقافي تاو في المضمر ونحن نقبله ونستقبله لتواطئه مع نسق قديم منغرس فينا[3].

أما عند الجابري فقد عرف الأنساق الثقافية على أنها أنظمة كبرى وهي أبنية لا شعورية للثقافة وحسن حنفي أعتبرها قراءة شعورية للنص، حيث يغدو النص مجرد قالب يتشكل طبقا لمستويات الشعور[4].

---

[1]– عبد الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط4، الدار البيضاء، المغرب، ص 12، 77، 78

[2]– عبد الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط4، الدار البيضاء، المغرب، ص 12، 77، 78.

[3]– عبد الله غدامي النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص ص 55،56.

[4]– جابر عصفور، قراءة في التراث النقدي، ط1، مؤسسة عيال لدراسات والنشر، 1991، ص 56،57.

أما الغدامي فيعرفه بأنه نسق خفي مؤثر في عقلية متلقي وذائقته، حيث يترصد هذا الأخير في زمن طويل، حيث في أخر الأمر حقا يدافع عنه بشدة فلا يمكن المساس به باعتباره يستخدم أقنعة متنوعة يختفي خلفها من أهمها الجمالية اللغوية كالتورية والمجاز وغيرهما[1] ، إلا أن المفهوم الأيديولوجي له هو:" خطاب فئة اجتماعية معينة تحاول تبرير حقها في سلطة بإدارة علاقات الدولة والمجتمع وفق التصورات المحددة وبرامج محددة.

أما عند "الغربيين" فقد عرفه بياجيه jean Piaget على أنه له دور يشبه دور عمليتي الملائمة والتمثل في فعل الإدراك، خصوصا حين يذهب إلى أن النفس مزودة بمخططات خاصة، مبذولة لها قبل فعل الإدراك، وأنها –أي النفس– عندما تواجه موقفا فإنها تستجيب إليه بتكييف مخططاتها السابقة مع الموضوعات الجديدة للموقف مع المخططات القديمة السابقة (وذلك هو التمثل) وهو التفاعل القائم بين طرفين تفاعل بين منظومات من القواعد المهيمنة التي تنطوي عليها كل من أنساق القارئ، والمقروء، فهو تفاعل بين موجهات أدائية، تحدد للقارئ ما يمكن أن يقرأه في المقروء وتوجهه إليه[2].

بينما تشو مسكي فقد عرفه بأنه القدرة الأدبية، من حين أنها نسق كامن في القواعد والمعايير التي تتحكم في ممارسة قراءة الأدب وتوجه السلوكيات. ورولان بإرث اعتبرها التجارب المتضمنة. لكن ميشال فوكوMichel Foukoulf و جري ماسGreimas وصفوها بأنها تنظيمات متراتبة كامنة لمجموعات أنظمة الثقافة، وكذلك بوصفها رؤى للعالم من أبنية المقولات التي تحكم الوعي الجماعي للمجموعات المنتجة له، والتي تتحكم في قدراتهم القرائية أو الإنتاجية وتوجهها.

وأنها شفرات شارحة مزدوجة الحضور والغياب متبادلة الفعل والتأثير[3].

3–تعريف النسق كمصطلح:

يعرفه بالكوت بار سوتر بأنه "نظام ينطوي على أفراد فاعلين تتحد علاقتهم بموافقتهم وأدوارهم التي تنبع من الرموز المشتركة والمقررة ثقافيا في إ يطار هذا النسق، وعلى نحو يغدوا ومعه مفهوم النسق أوسع من مفهوم البناء الاجتماعي" وكما أثار في

[1]– ينظر المرجع السابق، ص ص 78،80.

2– www.pcc los.com

3– جابر عصفور، قراءة في التراث النقدي، ص ص 54، 55.

كتابه بنية الفعل الاجتماعي إلى أن " النسق يرتكز على معايير وقيم تشكل من الفاعلين الآخرين جزءا من بيئة الفاعلين [1].

أما الشكلانيون الروس فيعرفونه «بأن النسق الأدبي مقابل النسق التاريخي يتميز باستقلالية معينة: " لأنها إرث الأشكال والمعايير الثقافية المتنوعة التي بدأت من البناء السردي إلى مختلف طرق النظر في مسألة العروض، وتسمح هذه الاستقلالية بالتفكير في مسألة الأدبية" .

ويمكننا القول إجمالا إن الاهتمام بمفهوم النسق في البنيوية يعود إلى تحول بؤرة اهتمام التحليل البنيوي عن مفهوم الذات أو الوعي الفردي" من حيث هما مصدر للمعنى، إلى التركيز على أنظمة الشفرات النسقية التي تتراوح فيها" الذات " عن المركز وعلى تحول تغدوا معه للذات أي فاعلية في تشكيل النسق الذي تنتمي إليه، بل تغدوا ومجرد أداة أو وسيط من وسائطه أو أدواته"[2].

4-أنواعه:

1-النسق الجمعي: ويشتمل على ثقافة القبيلة أو الممدوح، والأعراف والمرجعيات الخاضعة لنظام هذا النسق.

2- النسق الفردي النسق الشعري: وهو يمثل رؤية الشاعر الذاتية للأخر: القبيلة أو الوجود، أو الممدوح، أو المهجور، حيث تبدوا صورة النسق الفردي في النصوص الشعرية متراوحة في موقفها بين الانتماء إلى النسق الجمعي والخضوع لسلطته، أو التمرد على النسق المعتاد لتشكيل عالم الذات، فيصبح النص الشعري، في أسمى تجلياته محاولة للمعالجة مع الواقع بكيفية أو بأخرى إنه محاولة لتحقيق الانسجام عبر الانسجام الحاصل في الواقع المعيش [3].

وكما كان الواقع لا ينتمي إلى النص إلى من خلال شرطه اللغوي ، فإن الشاعر يعيد صياغته هذا الواقع بالواقع، انطلاقا من التمرد عليه لإعادة بنائه بشكل جديد، تبدوا معه اللغة غريبة عن واقعها الأول واقع القول المؤتلف، وفي غرابتها تتجلى معانقتها للواقع

---

[1]- وليم راي، المعنى الأدبي من الظاهرية الى التفكيكية، المأمون للتوجه والنشر، بغداد، 1987.

[2] أديت كري زويل، عصر البنيوية، عصفور، ط1، دار سعاد الصباح، الكويت، 1992، ص111.

[3]- يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي، المطابع المركزية ، عمان الأردن، 2001، 20، 41، 42.

واقع القول المختلف لذا فقد افترض مايكل دوفرين شكلين مختلفين من القصد في عميق الخلق الفني هما :"قصد الحاضرالمعاش الذي تتخذ فيه الذات والموضوع، وقصد التأمل الذي ت تؤكد فيه الذات بعدها التأمل عن الموضوع الخاص بها".

ويعتقد دوفرين" أن الانتقال من القصد الأول إلى القصد الثاني يؤلف الجدل الجوهري لوعي الإنسان، حيث يزاح الحاضر المحسوس إزاحة مستمرة للخيال، والى هذا المعنى أثار ج، ب، بألب عندما قال بأن" اللغة الشعرية لا يمكن أن تكون معزولة عن سياقها التاريخي والثقافي والجغرافي لذا لك فالشاعر في جل انشغالاته الإبداعية لا يخرج عن إطار المبدأ القائل: حينما أكلم نفسي وأتكلم ثقافتي «ويعرف بدسيون" النسق بأنه نظام، يبدأ أن نظامية تتجلى في مخيلته وطبيعته لغته المراوغة، إذ يصبح الشكل المؤلف بهذه اللغة الخاصة فبدأ لرؤيا الشاعر وباءا لتحررها في أن واحد" [1]، وذلك لأن هذه الرؤيا التي جمعت أشياء النص وألفاظه نسق خاص ، هي نفسها التي تنفتح على العالم بحيث تجعل من الشاعر إنسانا متساميا لا يعيش متقوقعا في حدود زمانية ومكانية متينة الأسوار عالية الجدران، ولكنه يهدمها ويعلو فوقها ممتدا إلى عوالم لا تحدها المواد كانت صعبة الاختراق.

إن النسق في ضوء انفتاحيه على مكون الثقافة، اللغة يؤسس نظاما من العلاقات المرجعية الخاصة، والاحتمالات الإشارية اللانهائية[2].

والنسق هو مجموعة من الأجزاء تكون متكاملة فيما بينها حركيا ومتكافئة وظيفيا وبهذا يكون النسق يتنفس ويحيى وجوديا ووظيفيا من خلاله ترتبط أجزائه وتكاملها.

وقد عرفه أيضا تلكوت بارسونز بأنه:" نظام ينطوي على أفراد مفتعلين تتحدث علاقاتهم بعواطفهم وأدوارهم التي تتبع من الرموز المشتركة المقررة ثقافيا في إطار هذا النسق وعلى نحو يغدوا معه مفهوم النسق أوسع من مفهوم البناء الاجتماعي «وكما أشار بارسونز في كتابه " بنية الفعل الاجتماعي" إلى أن النسق يرتكز على معايير وقيم تشكل مع الفاعلين الأخرين جزءا من بيئة الفاعلين"[3].

---

[1]- عبد القادر الرباعي، جماليات المعنى الشعري، التشكيل والتأويل المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،1999، ص 17.

[2]– يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي، ص 22، 28.

[3]– إديت كريزويل، عصر البنيوية، ص 411.

وهذا يعني أن النسق يكون في أبسط معانيه العلائقية أو الارتباط، وحينما تؤثر مجموعة وحدات وظيفية بعضها في بعض فإنه يمكن القول أنها تؤلف نسقا ويتكون هذا الأخير من مجموعة من الأجزاء التي تكون مرتبطة مع بعضها البعض مع وجود مميزات بين كل عنصر وأخر .

ولهذا يمكن استخلاص العناصر المشتركة المختلفة في كل نسق:

- أن كل شيء مكون من عناصر مشتركة ومختلفة فهو نسق.
- له بنية داخلية ظاهرة.
- له حدود مستقرة بعض الاستقرار يتعرف عليها الباحثون.
- قبوله من المجتمع دليل أنه يؤدي وظيفة يؤديها نسق أخر.

5- نشأة الأنساق الثقافية وتطورها:

شهد النصف الثاني من القرن 20 ظهور موجة معرفية يمكن أن نطلق عليها موجة العلوم المتداخلة الاختصاص، وكان الأساس جامع لانبثاق هذه الموجة هو وصول فلسفة العلم إلى تحول يكاد يكون جذريا في نقيضه في فلسفة العلم الكلاسيكية التي نظرت إلى الظواهر باعتبارها ذرات، أو أجزاء، أو عناصر، وليس بالنظر إليها في كليتها القائمة، أو من منظور كونها نسقا، أو من منطلق يقر بأن" وجود التنظيم إنما يتضمن صفات في الكل، ولكنها ليست ظاهرة في كل جزء منه".

وفي إطار هذه الفلسفة الجديدة، " اقتربت فروع العلم هي المثل الأعلى الإيجابي لروح العلمية المعاصرة" ولعلنا في هذا السياق نشير إلى ظهور النظرية العامة للأنساق التي بدأ منظروها الأشهر فون بيرتا لانفي نشر أول أعماله التي حملت هذا العنوان 1950.[1]

وهكذا إدا ربطنا مفهوم النسق فإننا نجده يحتل مكانة كبيرة في الآداب العالمية في القرن العشرين، حيث كان الاهتمام بها من كل النواحي كعالم الصحافة وغيرها، وهي مفهوم يدل على الحضارة، حيث لايوال يتطور الى يومنا هذا من خلال أخدها أبعادا وأشكالا لم تكن معروفة من قبل، وغنى عن القول إن الثقافة تعد طرق وأساليب الحياة في الأمم والمجتمعات من تقاليد وعادات وأعراف وتاريخ وعقائد وقيم واتجاهات، سواء كانت

[1]- محي الدين المحتسب، انفتاح النسق الساني، ط1، دار الكناب الجديد للنشر2008، ص 141.

عقلية، دينية، عاطفية تتخللها قيم ومواقف منه الماضي أو الحاضر وأروى للمستقبل، إنها تعد نظام حياتي من تفكير وسلوك ونظم ومؤسسات اجتماعية[1].

ومن هنا نجد أن علم السميائيات قد اهتم بهذه الأخيرة من خلال رصد العلامات المعزولة، بشق أنواعها والتي تنقسم إلى:

1- أنساق العلامات الطبيعية: وهي الأنساق غير مؤسساتية، وغير اصطلاحية إلا أن الإنسان يخضعها للثقافة ويحملها دلالات مخصوصة.

2- أنساق العلامات غير الطبيعية: وهي الأنساق المؤسساتية الاصطلاحية التي تكون نتاجا لعمل الإنسان[2].

وانطلاقا من معطيات التحليل الثقافي أو التاريخ آتية الجديدة فقد اهتم عدد من النقاد مثل: ميل وكاثرين وهما من الولايات المتحدة الأمريكية بتأويل النصوص وقوانين الشعب في العزب، حيث يتجلى الصراع دائما بين الطبقات الاجتماعية، ولاسيما الطبقة الأرستقراطية المعروفة بملكيتها الأرض والطبقة البرجوازية المتطورة تجاريا، فمثلا: نجد شكسبير يقوم بدرس فاحص للمسرحيات التي بدأت تأخذ أشكالا متنوعة، حيث وجدها تمثل أنماط وظواهر الوجود بكل أنواعها، وهي مظاهر بوجود التمايز الثقافي والسياسي والقومي.

حيث يهدف هذا المنهج كما أشار منظروه، إلى مساءلة التراث والتاريخ بما فيه من مؤسسات ثقافية وبالتالي الأنساق مساءلة واعية وهذا من خلال استعمال الفحص القرائي الذي يؤديه الناقد لاستخراج الأنساق المضمرة الموجودة في هذا الوجود والتي خلفها الإنسان أو النتاجات الثقافية لهذه المؤسسات.

حيث نجد أن الناقد سنفيد يقترح عددا من الاستراتيجيات منها:

1- الرفض: وهو رفض بسيط للنص الجيل، وخصوصا ما يتعلق بتضميناته الرجعية التي يمكن أن تكون مثيرة، إنما نستطيع أن نروج بشكل سوي الانتحالات غير المنفذة"[3].

---

[1]- محمد بن لافي اللويش جدل جمالي الفكري قراءة في نظرية الأنساق المضمرة عغند الغدامي، ط1، بيروت لبنان،2010،ص ص131، 132،134.

[2]- حسن يدوح، المحاورة مقاربة تداولية، ص 58.

[3]- يوسف عليمات، المرجع السابق، ص ص 12، 14، 15.

2-التفسير: وهو أن يملك المعاني المهيمنة عن طريق الذي يوجه بشكل عام نصوص

3- الانحراف نحو الشكل: فالواحد يمكن أن يتجنب تماما مسألة رواية العلاقات الإنسانية المقدمة عن طريق النص

4- الانحراف نحو التاريخ: وهذا لأنه ينتج مسلكا جيد بعيدا عن ارتباك النص الأدبي حيث يمكن أن يفهم ليس بوصفه صيغة ذات امتياز في التأمل، بل بناءا شكليا مميزا وهذا ما سعت إليه الدراسات الثقافية مند ظهور علاماتها الأولى في بداية الستينات إلى فحص" العلاقة بين المكتوب وبالمجتمع من خلال بنية النصوص وهو ما دعاه رتشارد ويلسون " تنصيص التاريخ، وكما اهتمت هذه الأخيرة في الآن نفسه باستجواب منظومة القيم النظم الثقافية والمرجعيات السائدة من خلال الأيديولوجيات، وقد توصلت بعد بحث عميق إلى إشكاليات الفكر الغربي إلى أن الثقافة، ذالك الكل المعقد منم سلوكيات الإنسان من أفعال وعدادات وتقاليد التي تتأسس في صيرورتها النسقية[1].

وعن طريق هذه الأخيرة، الثقافة شغلتها جماليات الشعر عن علامتيه الثقافية وكونه مخزنا نسقيا مركبا، وكل جمالي فيه ينطوي ويتضمن نسقا مضمرا، من الممكن كشفه والاهتداء به لمعرفة الأنساق الثقافية العربية وهذا لو أننا استخدمنا المنهجية الضرورية، حيث يظل الشعر هو العلامة الثقافية الأهم إن لم تكن الوحيدة في أي مسعى لقراءة الذات الثقافية والعربية[2].

وسياسية وما يعيش المجتمع من انفتاح وانغلاق.

وباعتبار أن هذه الأخيرة هي الوحيدة التي تؤدي إلى نشأة النسق أو الأنساق بصفة عامة لأن هذه الأخيرة مرتبطة كل الارتباط من جهة تطورها، وانتشارها في المجتمعات والأمم ومن جهة أخرى اهتمام النقاد بها من خلال تطبيقه على نصوصهم الأدبية باعتباره منهج جديد يؤكد حضور الذات في صياغة وتشكيل العالم الخارجي وفق رؤيتها، إذ نجد أن الرؤية تحولت نحو علم التاريخ، فلم يعد حتميا كما هو الحال

[1]- يوسف عليمات المرجع السابق، صص 12،15.

[2]-حسن البنى، عز الدين، الشعرية والثقافة، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب،2003، ص 2.

عند علماء التاريخ الأوروبيين في القرن 18 و19، ولم يعده حتميا كما كان لدى الماركسية، وإنما أصبح الفرد يسهم في صناعة الوعي وتلقيه لإحداث وفق ثقافته الراهنة.

أما إذا انتقلنا إلى الأيديولوجية فإننا نجدها تشتغل لصالح أنساق ثقافية معينة وأخرى ضدية، هذه الأخيرة تعتبر نظام متواصل متناقل عبر الأجيال عن طريق التقليد والممارسة بشكل لا شعوري كما في تعلم الأفراد للغة فهي تبدأ مع الإنسان مند وجوده، وتستمر معه ولا تعرف حدا لنهايتها إلا بالفناء، فالثقافة تنشأ مع الإنسان كأهواء، فهي تؤثر في سلوكياته من أفعال، أفكار وعادات وتقاليد ، فهو يولد ويحيى ويموت من خلال أنماط ثقافية محددة [1].

وهذا ما نجده من خلال التحليل الثقافي، الذي يولي الأنساق المتمركزة في البني النصية أهمية كبيرة للكشف وتشكيلات هذه الأنساق ووظيفتها المؤسسة للمعاني والرموز والدلالات وبما أن القصيدة الجاهلية تحتوي في بنيتها العميقة مضمرات[2] نسقيه متعمقة بنظرة الشاعر الجاهلي للوجود الإنساني بكلية أضداده، فإن تأويل هذه الأنساق المضمرة من حيث هي مكونات ثقافية للمجتمع الجاهلي تحتاج إلى تأويل ثقافي عميق يبين طبيعة الموضوعات التي يمكن أن تنتجها هذه الأنساق.

إذن إن قراءة عوالم الضد في النص الشعري الجاهلي تستأهل كفاءة معرفية قادرة على كشف الكمائن الثقافية والأبعاد المعرفية داخل هذه العوالم، لأن حدث التآلف الناجم عن تضارب هذه الأضداد وتصادمها يكشف في النهاية صورة الوعي الإنساني لجوهر الصراع في الحياة، كما يصور في الوقت نفسه تفاعلات الشعر الجاهلي مع حيثيات هذا الصراع عبر ثقافة الخلق الخيالي الممكن.

وإذا كانت الشعرية تتوجه في موضوعها نحو البنيات الكبرى المشكلة في الخطاب الأدبي، فإن الشعرية تحرص في الوقت نفسه على مسائلة هذا الخطاب قصد الكشف عن مميزاته وتحقيقات ممكنة .

[1]- عبد الرحمن عبد الدايم، النسق الثقافي في الكناية، مذكرة ماجستير، 2011، ص 16.
[2]- يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي، ص 17.

وانسجاما مع هذا الطرح، فإن تموقع الأنساق الثقافية في إطار الشعرية يكون وظيفة قيمة لاكتشاف الجمالي ولا جمالي في فراغات النص من قبل المؤول[1].

يتضح لنا بعد عرض نقاط من الفصل أن:

-المجتمع يمثل مصدرا هاما من مصادر الثقافة.

- أن مفهوم النسق الثقافي يقترب من مفهوم الأيديولوجيا،

فلأيديولوجينا يمكن أن تستغل لصالح أنساق ثقافية وضد أخرى.

-وجود اختلاف في مفاهيم النسق الثقافي من باحث عربي لأخر وكذلك عن الغرب.

-استعمال النسق الثقافي لأقنعة متنوعة لتحرير أنساقه الثقافية كالثورية والمجاز مما يشكل لنا جمالية النص الأدبي.

- تبيان أن للبلاغة دور مهم في تحرير النسق الثقافي.

- أن المؤلف الوحيد للنسق هو الثقافة.

- وجود علاقة بين الثقافة واللغة حيث تعتبر هذه الأخيرة

- اللغة-المنتجة الوحيدة للنسق الثقافي والثقافة لدى أمة من الأمم.

- اهتمام الباحثين العرب والغرب بالأنساق الثقافية سبب دوره

- النسق في توجيه اهتمامات الكتاب والقراء في مختلف المجالات .

[1]- يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي، ص ص 12،16،17.

الفصل الأول

1- الشاعر وعصره:

أ- التعريف بالشاعر:

المعري أبو العلاء (363-449هـ-973-1057م) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان المعري، التنوخي شاعر ومؤلف عربي كبير، كنيته أبو العلاء، ولقب نفسه برهين المحبسين الأول فقد البصر والثاني ملازمته داره واعتزاله الناس.

ولد بمعرة النعمان يوم الجمعة عند مغيب الشمس شهر ربيع الأول سنة363 هـ وعمى بالجدري سنة 367 وكان يقول: لا أعرف من الألوان إلا الأحمر، لأنهم ألبسوني في حين جدرت ثوبا مصفرا، لا أعقل غير ذلك[1].

وقد نقل الثعالبي عن المصيصي للشاعر، قال" رأيت بمعرة النعمان عجبا من العجب، رأيت أعمى شاعرا ظريفا يلعب الشطرنج والنرد، ويدخل في كل فن من الجد والهزل، يكنى أبا العلاء، وسمعته يقول: أنا أحمد الله على العمى، كما يحمده غيره على البصر"[2].

أما فيما يتعلق ببيئة المعري فنجد أن نسب المعري ينتهي إلى قضاعة، وهي قبيلة متشعبة، وكان لها شأن كبير في الجاهلية والإسلام. والبعض يصلها بمعد بن عدنان وبعضهم يرتقي بها إلى يعرب بن قحطان. أما أمه فهي من أهل سبيكة، وهم وإن لم يكونوا من المبرزين، في العلم، فإنهم كانوا من ذوي المروءة والشرف والكرم ومن أصل عربي خالص وشامخ في الجاهلية والإسلام.

وهكذا كان "المعري" عربيا، وعاش عيشة عربية، وأظهر أثاره الأدبية كلها باللغة العربية[3].

وقد أنفق حياته كلها في درس الأدب العربي ولكن الحق أن الأمم الإسلامية الأخرى كان لها حظ كبير في تكوين مزاج" أبى العلاء" ولاسيما العلمي والفلسفي.

---

[1]- أبوالعلاء المعري، الفصول والغايات، دط، دار الأفاق الجديدة بيروت، لبنان، ص1.

[2]-أبو العلاء، نسبه وأخباره شعره ومعتقده، دط، مطبعة لجنة التأليف، والترجمة، مصر، القاهرة، 1940م، ص 10.

[3]-سناء خضر، النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر الاسكندرية، 1999م، ص 12.

فلم يترك فرقة طائفة إلا عرض لها أمم،" والأكثر هذه الفرق لم يكن عربيا خالصا فلا شك أن هناك صلة وطيدة بين "أبي العلاء" والأمم الاسلامية غير العربية، فقد كانت بلاد الشام إبان الفتح الاسلامي مزدحمة بالشعوب المختلفة من الأرمين والنبط والعبرانيين والروم[1].

بدأ أبو العلاء صغيرا في تلقي العلم على أبيه، وأول ما بدأ به علوم اللسان والدين وقد سار على دأب الناس في ذلك العصر، وتلمح الفائدة التي جناها من هذه الدروس إذ بدأ يفرض الشعر وله إحدى عشرة سنة ثم ارتحل إلى حلب ليسمع اللغة والآداب من عطائها تلاميذ ابن خاوية، وكانت حلب في ذلك العصر إحدى حواضر العالم الإسلامي الكبرى تضم جمعا من العلماء ممن استدعاهم سيف الدولة إبان عنفوان دولته.

وأشهر تلاميذ أبي العلاء: أبوا زكريا يحي بن علي الخطيب التبريزي صاحب المصنفات النفيسة، كشرح الحماسة والمعلقات وتهذيب ألفاظ ابن السكيت وغيرها"[2].

أما ميراثه الشعري فقد تلقاه من أبيه كذلك، حيث يناجيه في مرثيته:

أمولي القوافي ،كم أراك انقيادها لك، الفصحاء العرب كالعجم اللكن

وقد ظل أبوه يرعاه، ويقوده على الطريق، إلى أن رزئ بموته كما انه درس القران بعده قراءات على مشاهير علماء القراءة في عصره هذاما كسبه المعري الناشئ عن محيطه.

العلمي القرآني والحديث واللغة وما رافق ذلك من رواية الأشعار ، وحفظ السير ، معرفة الوقائع، ولم يكتف بهذه الثقافة بل كان طالبا طموحا متعطشا للتحصيل، شديد الظمأ اليه ،لذلك ضاق به محيطه وموطنه[3].

ب- عزلته ووفاته:

كان أبوا العلاء في سن الأربعين حين عزم على اعتزال المجتمع والعكوف في بيته على الدرس والتأليف فعاش ما سماه هو نفسه، بفترة " رهين المحابس الثلاثة"

على أن تتابع الأحداث عليه كالعمى وفقد أبيه ،واخفاقه في بغداد وموت أمه ،اخدت عنده ازمة نفسية كبيرة صمم على اثرها أن يلتزم البيت طيلة أيام حياته، وكان من جراء

[1]- أبوالعلاء المعري،نسبه وأخباره شعره ومعتقده، ص 12

[2]- أبوا العلاء المعري،الفصول الغايات ، ص 11،12ا

[3]- محمد سليم الجندي، تاريخ معرة النعمان، تح،عمر رضا خالد،ط2، منشورات وزارة الثقافة، دمشق سوريا، ص13.

اعتزاله في البيت انه زاد نشاطه الفكري بشكل ملحوظ ، ففي هذه الفترة نظم لزومياته، وألف أكثر كتبه ورسائله واستمر في العطاء حتى مات سنة 499هـ.

والظاهر أنه في طبيعة أبي العلاء شيئا من حب العزلة، عرفه أبوا العلاء في نفسه فقال في رسالته الى خاله ابي القاسم: «إنه وحش الغريزة اخشن الولادة"

ونرجع لنقول اعتزل أبوا العلاء المجتمع، بما رأى في شتى فتاته ، حكام ورعايا من فساد وظلم وفقر ، فأراد اصلاحه وتهذيبه، وكان في كلامه مرشدا ، ومحذرا، ولكن دون جدوى، ولذلك تشاءم من كل شيء ثم يئس، فلم يبقى له أمل في اصلاح ما فسد من أمرهم[1].

حزن المعري لموت أمه، ومال الى بالزهد، ولزم بيته وسمى نفسه رهين المحبسين حين يقول[2].

أراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبيت

لفقدي ناظري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسم الخبيث

أما سنة وفاته فكانت في شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وأربعمائة هبط في مدينة تقع في واد بين مرتفعات يقال لها: "معرة النعمان" نسبة الى النعمان بن بشير الأنصاري حيث توفي بعد مرض دام ثلاثة أيام وذلك يوم الجمعة الثالث قبل ثاني ربيع الأول وأوصى قبل موته أن بكيت على قبره [3].

هذا ما جناه أبي علي عل ومـــاجنيت على أحد

نعرف أن أبي العلاء كان على عقيدة الحكماء إلا أنه دليل على تنفيذ هذه الوصية ،ولا وجود لأثر هذا البيت على شاهد قبره ، وليس عليه إلا اسمه ووقف على قبره ،وليس عليه إلا اسمه ووقف على قبره أربعة وثمانون شاعرا يرثونه.

ج-شخصيته وأخلاقه:

أما اخلاق أبي العلاء فيمكن تعدادها وفق ما ورد في النصوص المختلفة ،فأول ما يظهر من الخصائص الخلقية لأبي العلاء وقد مر ذكره مسبقا، هو زهذه واباءه وإعراضه

---

[1]-تعريد زعييميان،الأراء الفلسفية، عن المعري والخيام،ط1، القاهرة،مصر،2003م،ص ص 15،152.

[2]- أبوا العلاء المعري، الفصول والغيابات، ص 145

[3]-عبد مغربالقادر محمود رحلة إلى العالم الأخر مع أبي، ط1،شارع الخليفة المأمون القاهرة ،مصر1417 هـ،1997،ص11.

عما في هذه الحياة من اللذات، وكذلك العفة والقناعة وعزة النفس ومما يدل على اباءه وعزة النفس ومما يدل على إبائه وعزة نفسه مما يدل على ايباءه وعزة نفسه ،عدم تكسبه بالشعر، وهذا ما جاء في المصادر القديمة [1].

وكان له جانب حرية الرأي في شخصيته من خلال اعتزازه الخاص[2].

واذا نظرنا الى أخلاق "المعري"، وسلوكه العملي، لوجدنا أن هذه الأخلاق هي أخلاق مثالية في طابعها، وسلوك قويم يقترب من المثال أو النموذج الذي ينبغي أن يحتدي به الناس.

حيث كان رفيق القلب كثير العطف على الفقير،فقد أمن الحيوان من عدوانه ،وكان كريما سخيا طيب النفس يبذل المال اذا ملكه[3].

وقد أكدت الدكتورة «عائشة عبد الرحمن «على هذا الجانب في أخلاق "ابي العلاء" فقالت أنه خالف بسلوكه جمهور المسلمين فحرم نفسه ما احل الله من طيبات الرزق وامتنع عن الزواج وجهر بأقوال قلم عن جبريته، وأخرى صريحة التجريح لرجال الدين ومن هنا كان الطعن فيه، ومن هنا أيضا كانت صلابته في الزهد والتعفف لكن عصره الذي هضم الحقوق وأهدر الحرمات ، يعد الزهد في زينته الدنيا إنما والقناعة خطيئة والصوم على طيبات الرزق معصيته[4].

ويؤكد العقاد على بيئة المعري العربية وأثرها فيه فيرى أن الشيمة التي لازمت «المعري" طوال حياته هي شيمة(الوقار) المتمثلة في أدب البيئة وأصول اللياقة وفي الواقع فإن لهذه الشيمة وازع قوي عظيم الهيمنة على جميع النفوس وان عدها البعض ثانية أو ثالثة أو رابعة في ترتيب الزواجر الأخلاقية[5].

وقد كان المعري رغم عزلته ذاصلة حسنة بالناس وكان مع فقرة كريما ذا مروءة يعين طلاب الحاجات وينفق على من يقصده من الطلاب يهدي ويهدى اليه، ويكرم زائريه

---

[1]– أبوالعلاء المغري ،الفصول والغيابات ص 145.

[2]– عصام، طلائع المقاربة في الأدب العربي الحديث ط1، مصر القاهرة،1999م،ص10.

[3]– سنا خضر،النظرية الخلقية عند ابي العلاء المعري،ص17.

[4]– سنا خضرنا لنظرية الخلقية عند ابي الغلاء امعري،ص16 و17.

[5]– أبوا العلاء، نسبه وأخباره شعره ومعتقداه،دط،مطبعة لجنة التأليف،

ومن مروءته وكرمه أنه لم يقبل تلميذه الخطيب التبريزي ذهبا كان قد دفعه اليه ثمنا لإقامته عنده .

كان رقيق القلب رحيما عطوفا الضعفاء حتى شملت رقة قلبه الحيوان فلا يذبح ولا يروع بولده وبيضه وكان وفيا لأصدقائه وأهله، ومن أهم خصاله الحياء الذي يكفله ضروبا من المشقة والأذى.[1]

2-اختلاف الناس في عقيدته:

هناك من يقول انه ملحد أو كافر، كما يقول أعداؤه، أو كان مؤمنا كما يقول محبوه ،وأكثر الناس يقولون على انه كان مشككا وأنه كان حائرا بين الايمان والإيحاء.

ولعل سبب هذا هو حملة على رجال الدين في عصره وطعنه في أولئك اللذين يعارضون تدينهم على الناس جهرا يبتعون الزلفى الى عامة الناس في رياء ونفاق.

اذ يعتبر التدين عنده طبيعة كأمة النفس وصيغة ملازمة لها. فالتدين عنده ليس لزوم ما لا يلزم ايجابا وسلبا .

أما ايمانه بلزوم ما لا يلزم فهو دليل على التدين الكامل فيه وقد أظهره على هذه الصورة القوية دون أن يريد ذلك ارادة واعية وهذا هو سير عظمة المعري تفكيرا وأدبا فهو يعتبر بمثابة كنزا ادبيا وذخر لنا سنحرص عليه دائما .

أما معاصروه فقد عابوا عليه خروجه عن التفكير المألوف وألهموه بإلحاد باعتباره كان بطبيعته متدينا ولكنه أبى أن يؤمن من ايمان العجائز، وفضل أن يكون ايمانه بعد التفكير في أمور الكون، ومن دلائل حرية تفكيره قوله

جائز ان يكون ادم هذا قبله ادم على اثر ادم[2].

واذا كان المعري متهما في عقيدته وعرف بين العوام وانصاف المتعلمين بالتعطيل والزندقة، كان هم ابن العديم أن ينفي عنه هذه التهم الباطلة ، وان يحيط حياته بكل ما يدفع عنه هذه الريب والشكوك ،حيث اضاف الى فصول كتابه فصلا ذكر فيه شيئا مما وقع اليه من الأحاديث المسندة ممن اتصفوا بالتقي الورع ، فنقل عن ابي العلاء عدة

[1]- طه حسين، شرح لزوم مالا يلزم لأبي العلاء المعري، د ط، دار المعارف مصر، القاهرة، ج1، ص 1.
[2]- مجلة المقتطف يونية، طبعت بمؤسسة دار الشعب ، سنة 1961،ص 153،156.

احاديث مسندة عن النبي (ص) حيث نجده لم ينبر الدفاع عن ابي العلاء إلا بعد أن تحققوا له مدى عمله وايمانه وصحة معتقده[1].

3- فلسفته:

طلب ابوا العلاء المقالي والمكارم في غير اللغة والأدب فما أن قادت له فعكف على استبطان ذاته ، وفجر مواهب عبقرية فيما خلق من روائع والنظر أثناء عزلته ، واغترابه النفسي يقول :[2].

طلبت مكارما ،فأجدت لفظا كأنا خالدان على الزمان

تحولت حياته الى معركة الفلق ،ونار الصراع ونكرانه وكرهه للدنيا، كرها شديدا فهو يرفض الحياة ويرحب بالموت ففي الموت يخلص من الامه ويرى الوجود كارثة كبرى، وفي المرأة قبح وبلاء ،فأصبح أدبه أدبا تشاؤميا ذو ألحان حزينة وهو مؤثرة. حيث نجد أن قلق الحياة عنده موقف فلسفي قوامه بغض الدنيا والحياة، ووسيلة في الخلاص من ألامه، هي الموت وقطع النسل انه لم يعتمد في طرح المسألة على عادة الفلاسفة بأسلوب تقريري مرتب السياق.

وكان أسلوبه في موقفه الفلسفي أسلوب الأديب الساخط الساخر ومهما تعددت الآراء في تفسير قلقه فإنها تجمع على انه ابدع فنا جديدا أثبت فيه قدرته على التحدي.

حيث نجده تأثر بمختلف الفلسفات التي سادت في عصره وأضاف إليها تجربته الشخصية واراءه التي اشتقاها واخترها لنفسه، واكثر اراءه الفلسفية موجودة في اللزوميات وكان يرى قدم المادة الكونية والزمان، وهذا أثرمن أثار ارسطو كما كان يرى خلودها وبقاءها[3] .

نرد الى الأصول وكل حي له في الأربع القدم انتساب.

ولكنه لا يثبت على هذا الرأي فيعبر في مواضع أخرى عن فناء المادة الكونية وحدوتها فيقول:

وليس اعتقادي خلود النجوم ولا مذهبي قدم العالم.

---

[1]-ابوا العلء المعري ابوا العلاء العري دفاع المؤرخ ابن العديم عنه،دطندار سعد مصير للطباعة والنشر مصر، القاهرة، 1945،161.

[2]- سامي يوسف ابو زيد الأدب العباسي،دط،ص ص 145،246.

[3]- الموسوعة العربية العالمية.

وان الفلاسفة العلائية فلسفة واسعة الأطراف متشعبة المسالك ، بعيدة الغور، متعددة الجوانب اتسعت لكل المشاكل واستوعبت كل المذاهب والنظريات، وشملت كل الأغراض ،كما تحدثت عن عالم الشهادة، فالمادة والزمان والمكان وتناهي الأبعاد، وخلود الروح والموت والبعث والتناسخ والجبر والاختيار والجن والملائكة و النبوءات والديانات، كل ذلك أغراض هاته الإنسان فلسفة وموضوع نظرها ،وقد تناولت الفلسفة العلائية الإنسان أيضا فتحدثت عن أصله وعن أخلاقه وغرائزه وعاداته وعن الزواج والنسل والمرأة وغير ذلك[1].

4-الأصول الأساسية لفلسفته:

وتقوم قبل كل شيئ على انكار العلة الغائبة التي يؤمن بها كثير من الفلاسفة واصحاب الديانات جميعا فأشياء لم تخلق بهذه الغايات التي نرى أنها خلقت لها من الممكن أن تخلق على غير صورها المعروفة، وكان من الممكن أن ينظر الانسان بقدمه ويشم بمنكبيه ويبكي بأصابعه واذن فالعالم لم يخلق لنا والطبيعة لم تسخر لحاجاتنا واذن فلا ينبغي أن نستحل منها كل ما نستحل ولا أن نستأثر بخيراتها لأنفسنا ولا أن تألم الحيوان للذاتنا ولا ان نظلمه لنفعتنا، فليس حقنا في الحياة بأكثر من حقه وليس لنا عليه هذا السلطان لذي نتخلى لأنفسنا إنما هذا كله غرور جاءنا من هذه أثرة التي خيلت إلينا ان العالم يخلق من أجلنا وسخر لمنفعتنا وهذا هو الأصل الأول.

أما الأصل الثاني هو أن من حقنا أن نستمتع باللذات الى اقصى حد ممكن ولكن هذا الاستمتاع لا سبيل إليه لأنه لا يصبح ولا يستقيم الا اذا خلا من الألم والظلم والعدوان، وليس الى هذا السبيل، واذن فالانصراف عن هذا الاستماع هو الخير كل الخير وهو الحق على الرجل الذي يعرف ما يأتي وما يدع والأصل الثالث هو أن العالم لم يخلق نفسه ولم يخلق عبثا وانها خلقه إلى ليس في وجوده شك وخلق لحكمة ليس فيها شك ولكن عقولنا لا تعرفها ولا تستطيع أن تعرفها لأنها لم تمنح وسائل هذه المعرفة كما أن أجسامنا لم تمنح السلم الذي يوصلها إلى الثريا[2].

---

[1]– عبد السلام بن عبد العالي،الأدب،ط1،دط، دار بوجقال للنشر، الدار البيضاء،المغرب، 2009، ص 16.

[2]– ابوا العلاء المعري،الفصولوالغايات،ص ص 63،66.

أراء ابوا العلاء الفلسفية:

يمكن ترتيب اراء المعري الفلسفية وفق التقسيم الذي حدده بعض المسلمين لموضوعات الفلسفة فقالوا: "الفلسفة أربعة أقسام".

1- الفلسفة الطبيعية، ويقال لها العلم الأدنى، وهي التي تبحث عن المادة والزمان والمكان وتناهي الأبعاد.

2- الفلسفة الإلهية، ويقال لها العلم الأعلى، وتبحث عن حقيقة وجود الله وصفاته وتحاول ابراز كنهه وحقيقته المجردة، وهل هو قديم أزلي أو محدث؟.

وهل ارادته مطلقة؟ ثم الاعتقاد بالجبر ، ومعرفة مصير الروح وقضية التناسخ ووجود الجن والملائكة ، ثم السنوات والبعث.

3-الفلسفة الرياضية، ويقال لها العلم الأوسط ، وتدخل فيها الهيئة والنجوم والكواكب.

4-الفلسفة العملية، وتناول الحديث عن أصل الانسان وشخصيته، ثم اختلاف الناس خلقيا وماديا[1].

وهكذا نرى أن فلسفة "ابي العلاء "لم تأت من فراغ بل من دافع كانت نتيجة واضحة في زهده في الحياة فأنتج فلسفة مختلفة فنونها.

وتكمن مصادر فلسفته في الحياة نفسها ، فقد درسها دراسة معمقة، انتهت به الى نقد الكثير من الأخلاق والعادات ومن المصادر، فلسفة اليونان، وقد درستها في الانطاكية والاذقية ثم اتقنها في بغداد، وكانت لها حياة خاصة في العراق وبلاد الفرس، وكذا الفلسفة الفارسية التي عرفت للمسلمين، وقد اخدوا منها الأخلاق ،والسياسة، والنجوم، و الأقاصيص[2].

5- أعماله:

إن ثقافة ابي العلاء الواسعة ، ومواهبه الفطرية، وعماه، وعزلته أتاحت له أن يبرز الى الوجود ومؤلفات كثيرة ومتنوعة قد تبلغ السبعين من منظوم ومنتور، ومن أشهر مؤلفاته، ألف أبوا اليسير يقول الذهبي إن اكثرها لم يصل الينا، واحصيا له من الكتب،

[1]- تغريد زعيمان الاراء الفلسفية عند ابي الغلاء المعري وعمر الخيام،ط1،القاهرة،مصر،1423 هـ،2003 م،178.

[2]-أمنة قروات وامال مخلوف، أثرالحركة الفلسفية في العصر العباسي،أبوا العلاء المعري، نمودجا مذكرة مقدمة لنيل شهادة اليسانس،الشعبة،أدب عربي، مخطوط،نوقشت سنة 2012،2013،ص 60،61.

خمسة وخمسين كتابا في اربعة الاف كراسة، تشمل الشعر والنثر فقد ذكر له كتاب اسمه استغفر واستغفري فيه عشرة الاف بيت ضاع ما ضاع.

ويذكر الرحالة الفارسي ناصر خسروا أن ابا العلاء نظم مائة الف بيت من الشعر وذلك سنة 438 هـــ قبل موته بإحدى عشر سنة ،وعد ياقوتا من مصنفاته اثنين وسبعين مصنفا، وبقي من شعره ثلاثة دواوين: سقط الزند والردعيات، وهو ديوان صغير طبع ملحقا بالسقط واللزوميات.

1- رسالة الغفران: التي أملاها على رسالة الأديب الحلبي علي بن منصور بن القارح، وكانت اكثر كتبه يؤلفها ردا على طلب طالب وكان بعض الأمراء يسألونه أن يصنف لهم ، ومن ذلك: يمازح المعري صديقه ويعبث به ويشير من طرف خفي إلى انه كان مشككا غير قوي الايمان، وفيها يطوف ابن القارح في الجنة وتظهر فيها مقدرة المعري اللغوية كما تبدوا فيها نقد، مقدرته على السخرية والنقد حيث ترجمت الى الإنكليزية والفرنسية، وكذلك منتجات من شعره[1].

2- الفصول والغايات: وهو صورة اخرى للزوميات، فقد اورد فيها كثيرا من الآراء التي اوردها هناك[2]، وهو كتاب لطيف، قصره على تفسير ما جاء من اللغز في كتابه[3].

3-كتاب تضمين الرأي: حث على تقوى الله يختم كل فصل منها بأية، وتاج الحرة وهو خاص بوعظ النساء ومقداره أربعة مئة كراسة، كما يقول ابن القديم، شجع الحمائم، في الغطة والحث على الزهد أيضا : اللامع العزيزي في تفسير شعر المتنبي، جامع الأوزان في العروض والقوافي، الصاهل والشاحج.

4-رسالة الملائكة: اقتصر ياقوت، وقال صاحب الكشف على ذكر اسمها، وقال ابوالفضل المؤيدين الموفق الصاحبي في كتاب :"الحكم البوالغ، في شرح العلم النوابغ "وقد ألفها جواب على مسائل تصريفية ألفاها إليه بعض فأجاب عنها بهذا الطريق الظريف المشتمل على الفوائد الأنيقة وأسلوبه فيها غريب، افتتحها معتذرا للسائل بكبر سنه، وبعد عهده بالمسائل النحوية والصرفية، وقربه من الموت.

---

[1]-عبد الفتاح كيليطو،ابوا العلاء المعري أو متاهات القول، ط1،دار توبقال للنشر الدار البيضاء المغرب,2005 ، ص1

[2]-ابوا العلاء المعري،الفصول والغيابات،ص ص 15،19.

[3]-.ينظر سامي يوسف ابو زيد، الأدب العباسي، ص 63،64.

5-رسالة على لسان ملك الموت: ذكرها ياقوت، ولا أدري إن كانت رسالة الملائكة أو غيرها[1].

6-الإمتثال لمثال المبهج: وهو تأليف في ابتداء الحكم واختراع الأمثال، سار فيه على نهج الكتاب "المنهج" ويضم هذا المؤلف نوعا من الأمثال.

7- جني الرطب في سني الخطب: جمع فيه خطبه في الجمع والاعياد وهي نحو من ثمانين خطبة.

8- الأيك والغصون: ذكره ياقوت وصاحب الكشف في حرف الكاف في الكتب، ويسمى أيضا بلهمزة والردف ،لأنه بناه على احدى عشر حالة للهمزة في حال إفرادها واضافتها، مثاله: سماء بالرفع والنصب والخفض[2].

9- رسالة الصاهل والشاحج: يتكلم فيه على لسان فرس وبغل، وهو كتاب حسن، صنفه للأمير الدولة شجاع فاتك بن عبد الله الرومي، مولى منجو تكين العزيزي، وكان أبو شجاع هذا والي حلب من قبل المصريين في ايام الحاكم وبعض ايام الضاهر ، وكان سبب تصنيفه أنه رفع الى فاتك أن حقا يجب له على بعض[3].

ب – شعره:

لزوم مالا يلزم: وهو ديوان كبير جمع فيه لزومياته، وصدره بديباجة ضافية الذيل في شرح القوافي.

سقط الزند وفيه نخب قصائده ويشتمل على اكثر من ثلاثة الاف بيت، ضمه شعره في صباه.

ضوء السقط: وهو ديوان صغير فيه القصائد التي نظمها في وصف الدرع[4].

جامع الأوزان: فيه شعر منظوم على معنى يعم به الأوزان الخمسة عشر ألاف بيت، ومقداره ستون كراسة في ثلاثة اجزاء[5].

---

[1]– ا والغيابات، ص بوا العلاء المعري الفصولوالغيابات، ص 63.

[2]–ابي المعري، الفصول والغايات ص 63.

[3]–ابوا العلاء المعري ودفاع ابن العديم عنه، دط، دار المعارف مصر القاهرة،2003، ص 20.

[4]–عصام بهي، طلائع المقارنة فيالأدب العربي الحديث،ط1، مصر، القاهرة،1999م ، ص 9.

[5]–محمد قجة، الدراسات والبحوث بين المعري والخطيب لأول ، 569 تشرين2007ا الاول ، العدد 18.

وله كتب اخرى منها:

انه الف كتاب القائف على منوال كليلة ودمنه، ولو تصلنا منه إلا حكايات قليلة نقلها الكلاعي في احكام صنعة الكلام.

وملقى السبيل وهو ايضا كتاب وعظ لم يكن محل شبيهة ولم يقرأه احد على انه معارضه[1].

راحة اللزوم: يشرح فيه ما في لزوم من الغريب، نحو مائة كراسة[2].

الردعيات: وهو ديوان صغير ، يشتمل على اشعار وصفت فيها الدرع خاصته [3].

6- لغته و أسلوبه:

أ- أسلوبه الخاص في النثر والشعر:

له علاقة بظروف حياته ونفسيته الخاصة لم يتبع معاصريه في شيء

- نجد أسلوبه الخاص مرتبط بنفسية عميقة. ولنبدأ في النثر في كتاب الفصول والغايات: في قوله: "بيض نهيد، حرمت العيش الرغيد"، ويقول: "وسوداء تسود تعيش عيشة الأسود".

ويقول في اللزوميات:

كم أمير أمر في عاصفات بعدما حاب في الحياة وحابا

أسطرلاب حولهن جهول فهو يرجو هدبا بأسطــرلاب

وهذه الأبيات تعني أن الجهول يتعطش من الأسطر المكتوبة راجيا أن يهتدي بما مثل الفلكيين الذين يهتدون بجهاز الإسطرلاب.

رغم عيوب المعاصرين إلا أن هناك معجبيه ويرد أن شعره أرق وأجمل من شعر شعراء غيره وهذا نظرا لصفات اختص بها وحده أدبه أيضا، لهذا التحيز الحديث إلى أدب أبي العلاء لا يرجع إلى موضوعاته فحسب، ولا إلى عمق التفكير فيه، ولا إلى جمال أسلوبه، فقد عرف ذلك كله عند غيره، فلم يبلغ قائله من نفوسنا ما بلغه أبو العلاء.

---

[1]- عبد الفتاح كيليطوا، ابوا العلاء المعري ، أو متاهات القول،18 ص 33-65.

[2]- محمد الجلبوي،مباحثودرسات ادبية، نشر الشركة التونسية للتوزيع ، قرطاجة، تونس ،1

[3]- تغريد زغيمان،الأراء الفلسفية عن ابي العلاء المعري وعمر الخيام، ط1، القاهرة ، ص 1423 هـ، 2003 م،161ص.

فموضوعات أدبه من زهد تشاؤم احتقار لآمال الناس وأمانيهم، وما فيها من تأكيد لما يكون غلبة الناس من غرور، وجهل وظلام، وما يتحدث عنه من حيرة العقل في فهم الكون وتخبطه في معرفة الحقيقة، كلها أمور سبق للكثير الخوض فيها[1]، حيث قال فيه ياقوت: "كان... عالما باللغة حاذقا بالنحو"، أما الخطيب البغدادي فقال: "وكان... عالما باللغة حافظ لها"[2].

ب- أسلوبه الخاص في الشعر:

الأخذ بمبادئ المدرسة القديمة (مدرسة الخليل ابن أحمد) في العروض والقافية استقصاء نواقص هذه المدرسة وإكمالها وقد كان من جراء ذلك أن استحدث القافية[3].

وحيث نجد أسلوب المعري في أشعاره لم يكن واحدا "وإنما كان له أسلوبان: أسلوب في سقط الزند وهو أسلوب القرن 4هـ في التشبيه والاستعارات والكنايات والمبالغة واستعمال البديع... أما أسلوبه في لزوم ما لا يلزم وهو ديوان شعري فريد افتتح فيه المعري صفحة جديدة في الأدب العربي، فالمعري يترك فيه كل موضوعات شعره في (سقط الوند) ويقتصر على موضوعات الحياة المجتمع والأخلاق ويلتزم الإيجاز، وربما انتقل في قصيدة واحدة من موضوع إلى موضوع، وتغلب عليه الألفاظ الجزلة التي تصل أحيانا إلى الغرابة ولكنها ليست بعيدة عن العلماء والأدباء لأنها تخاطبهم قبل غيرهم وفي لزومياته كما في سقط الزند يكثر من ألوان البديع والمعاني والبيان فيها....".

ومما نجده في أشعاره بصورة قوية:

1- الاقتباس: ونجد أن المعري قد اقتبس كثيرا من القرآن الكريم سواء أكانت اقتباساته تتمثل في لفظة قرآنية أم معنى قرآني أم في عبارة قرآنية فنجده يقول:

وترجو الرباح وأين الرباح ونعتك في نفسك الخيسرى[4]

---

[1]- مجلة المقتطف بونية، طبعت بمؤسسة دار الشعب، سنة 1968م، ص ص 46، 147، 148.

[2]- ابراهيم السامرائي، مع المعري اللغوي، ط1، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، 1404هـ- 1984م، ص ص 46، 147، 148.

[3]- طه حسين، تجديد ذكر أبي العلاء، ط9، دار المعارف، ص 617.

[4]- ريما عبد الكريم رجوب، أثر القرآن في شعر أبي العلاء المعري، أطروحة لنيل درجة الماجستير، معهد الآداب والعلوم الانسانية، مخطوط نوقشت في جامعة البعث.

2- التشبيه: فالتشبيه عند المعري نجده يتمثل في نوعين: فقد يكون التشبيه لا يقتصر على طرفيه وإنما وجه الشبه يكون غير محدود، فيكون التشبيه تمثيلا وتخييلا في كثير من الأحيان فيقول:

ترى وجوه المنايا في جوانبه يخلن أوجه جنان عفاريتا[1]

3- التضمين: ويذكر المعري في أشعاره كثيرا من التضمين للآيات القرآنية في شعره بقصد الإشارة إلى الناحية الدينية مع التركيز على الجانب التربوي، كقوله[2]:

يرى الفكر أن النور في الدهر محدث وما عنصر الأوقات إلا حلوكها

4- الرمز: ونجد هنا المعري قد أجاد في استخدام الرمز في أشعاره وكان يعتمد على الرموز الحكائية في أقواله للتعبير عما يريده، ولكن بطريقة تعبر عن ثقافته الدينية والفكرية والفلسفية والتاريخية حيث نجده يقول[3]:

وأعجب ما تخشاه دعوة هاتف أتيتم، فهبوا يا نيام إلى الحشر

وهذه الدلالة الرامزة إلى محاربة العدو متأتية من أن الحشر يأتي بعد الموت.

الفرق بين نظرة أبي العلاء للغة وأدباء العرب:

هو أن غيره من الأدباء كان علمهم باللغة سدا بينهم وبين الحياة، حجبهم جمال اللفظ على أن يروا ما في النفس البشرية والحياة الانسانية والعلاقات بين الناس من جمال وروعة.

أما أبو العلاء فكانت اللغة عنده نافذة أطل منها على الحياة وكأنه أصبح يرى الحياة من خلال اللغة.

عرف العواطف البشرية ومشكلات الحياة عن طريق اللغة وأدبها، وكذلك لحدة الذكاء لديه، جعلته يستطيع ما لم يستطعه أحد قبله أو بعده من جعل اللغة وعلومها سبيل العلم بالحياة وأسرارها،

والدليل على ذلك ما نجده في أدبه من كثرة تشبيهاته المستمدة من اللغة وعلومها، ويكثر ذلك في اللزوميات، وبصفة خاصة في أول اللزوميات .

---

[1]- أبو العلاء المعري، سقط الزند، دط، طبع في المطبعة الإعلامية بمصر، القاهرة، 1303م، ص 130.

[2]- طه حسين، شرح لزوم ما لا يلزم، دط، دار المعارف بمصر، القاهرة، ص 140.

[3]- ريما عبد الكريم رجوب، المرجع السابق، ص 134.

وأحسب أن التشبيهات اللغوية تقل في أواخر اللزوميات بعد أن استقر أسلوبها وأصبح نظمها عليه أسهل، وحريته في تأليفها أكبر.

وأمثلة ذلك كثيرة، من ذلك قوله في العزلة، فهو يشبه العولة بالبيت المفردة تقع عليه عيوب القافية كإسناد والإقواء.

كالبيت أفرده إيطاء يلحقه ولا سناد ولا في اللفظ إقواء

وهو يشبه بعده عن التباين وعدم الثقة إياهم بما يقع في اللغة نت استحالة الجميع بين الذال والظاء.

فلست لهم وإن قربوا أليفا كما لم تأتلف ذال وظاء

وفي نثره إشارات كثيرة من هذا الطراز، من ذلك قوله في الفضول والغايات "وإذا تقويت لفعل الحسنة أقويت"[1].

وكذلك في "رسالة الغفران" حين يشير إلى وصول "الرسالة" وهو يعني رسالة "ابن القارح". وأنت في هذه الإشارة إزاء فيض من العطاء فيه اللغة وفيه الأدب والنقد وفيه "الآية" وفيه من الجاهلية والإسلام القدر الكبير، ثم إنك أمام هذا الأدب "العلائي" في اختيار الكلمة وبناء الجملة في أسجاع وفواصل عجيبة لا تعدم أن تجد فيها أنه أسرف على نفسه فلزم "ما لا يلزم"[2].

7-الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العصر العباسي:

يعد أبو العلاء المعري من كبار العصر العباسي، وكان لأوضاع العصر الذي نشأ فيه أثر كبير على أفكاره وتكوين شخصيته واختباره طريقة خاصة في الحياة، فانبثق عنه رد فعل قوي في نثره وشعره اللذين سهلا على الباحث معرفة شخصيته وآرائه في الحياة.

فدراسة أبي العلاء المعري تقتضي قبل كل شيء دراسة أوضاع عصره، وكذلك دراسة العصر الذي سبقه لما بينهما من صلة وثيقة تربط بينهما وتكون تاريخا عريقا يعرف بتاريخ العصر العباسي[3].

---

[1]- مجلة المقتطف يونيه، سنة 1961م، ص ص 131، 152.

[2]- ابراهيم السامرائي، مع المعري اللغوي، ط1، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، 1404هـ- 1984م، ص ص 18، 19.

[3]- تغريد زعيميان، الآراء الفلسفية عن أبي العلاء المعري وعمر الخيام، ط1، الدار الثقافية للنشر القاهرة، مصر، 1423هـ- 2003م، ص 105.

1) الحياة السياسية والاقتصادية:

عاش شاعرنا الفيلسوف في فترات الانهيار السياسي – في تلك الفترات السود التي تصدعت فيها السيادة العربية على مذبح الشهوات التي كانت تضطرم في صدور المتغلبين من الديلم ومن إليهم من الأعاجم المتسلطين نعم، عاش شاعرنا في نهاية هذه الفترات والبلاد العربية تعصف بها الزعازع وتهزها الأعاصير، فكان الحكم في بغداد غيره في مصر، وفي بلاد الشام غيره في القطرين المنابذين، وهو غي أقصى المغرب، في الأندلس وفي شمال إفريقية، غيره في الأقطار العربية الثلاثة –كل شيء قد تعرض للتميع والتفكك، ففسدت الحياة السياسية وفسدت الحياة الاجتماعية حتى أصبحت الدنيا العربية وكأنها على بركان... دول مختلفات المنازع، والأهداف قد انتثرت في الرقعة الإسلامية الكبرى، نزعات فردية في إهاب من المطامع الصارخة تجيش في كل صدر[1].

حيث أحدث انتقال الحكم من الأمويين إلى العباسيين انعطافا كبيرا في مسيرة التاريخ العربي فتغيرت معه أوضاع في دولة الخلافة وظهرت خصائص عديدة متباينة في أدب البيئة العربية العباسية، حكم العباسيون فترة طويلة من الزمن[2].

حيث كانت بيئته مسرحا لفتن وحروب متعاقبة لعل أقربها إلى عهده تلك الحروب والغزوات التي أثارها الأمير سيف الدولة توطيدا للكيان العربي وصونا لثغور الشام من الغزو البيزنطي، وإذا كانت الأيام لم تسعد المعري أن يرى المجد الشامخ الذي شاده الأمير الحمداني في السياسة القومية والحياة العقلية، فقد شاهد، وهذا ما زاد في محنته، لونا من ضعف الساسة، وفساد الرأي في ابنه سعد الدولة، وفي حفيده أبي الفضائل، وإذا تركنا الكلام عن ابن سيف الدولة لأن ملكه لم يطل ولم يتميز بالأحداث الخطيرة.

وتتالت الأحداث والحروب مدة أربع سنوات كاملة بين البيزنطيين والفاطميين كتب فيها النصر للفاطميين أولا ثم للبيزنطيين الذين بسطوا سلطانهم على بلاد الشام بفضل هذه المعاهدة أو بفضل هذا الخضوع المزري الأعداء الدين واللغة والعادات والوشائج والدم، ولم يقف الفاطميون موقف المتفرج من هذه الأحداث بعد أن مست سلطتهم، بل جهزوا حملة ثانية لدفع البيزنطيين عن بلاد الشام، فنجحوا وسقطت حلب في أيدي الفاطميين

[1]– أبو العلاء المعري، أبو العلاء المعري دفاع المؤرخ ابن العديم عنه, دط, دار سعد مصر للطباعة والنشر مصر, القاهرة، 1915هـ، ص 174.

[2]– تغريد زعيميان، المرجع السابق، ص 105.

الذين قضوا على السياسة الخرقاء التي انتهجها أبوا الفضائل الذي اعتمد مع وزيره لؤلؤ، على الأجنبي في توسيع شقة الخلاف بين مصر والشام[1].

حيث يقول أبو الفضائل سعيد بن سعد[2]:

سألن فقلت مقصدنا سعيد فكان اسم الأمير لهن فاه

حيث قسم المؤرخون هذا العصر إلى أربعة عصور وهي التالية:

العصر العباسي الأول:

ويمتد من 132هـ إلى 232هـ، وهو العصر الذي امتاز بقوة الخلافة وعظمة الخلفاء ومجد الدولة، كما امتاز بالنفوذ الفارسي، على أن العرب بسقوط الدولة الأموية التي كانت عربية خالصة كانوا قد[3]خسروا سيادتهم المطلقة في الدولة.

فالعباسيون ركنوا إلى الفرس الذين كان لهم فضل كبير في بنيان العرش العباسي بذلك فقد العباسيون ثقتهم بالعرب فأقصوهم عن الحكم والسلطان وأبعدوهم عن تصريف شؤون الدولة، وأذلوهم بالحروب وبالتشريد والانتقال وسفك الدماء. وفي هذا العصر ترسخت أسس الدولة العباسية وانتقلت الخلافة إلى العراق بعد أن كانت بالشام، وأصبحت بغداد عاصمة للدولة العباسية بعيدة عن الشام، ولكنها قريبة من فارس ومن الجوالى الفرس في العراق نفسه.

ومن خلفاء هذا العصر: السفاح والمنصور وهارون الرشيد والمأمون.

وأشهر كتابه وشعرائه:

محمد بن سلام الجمحي وعبد الله بن المقفع و الأصمعي وبشار بن برد وأبو نواس وأبو تمام. على أن بغداد كانت تعج بالعلماء والأدباء والشعراء.

وفي هذا العصر أشرقت العلوم ونبغ فحول المفكرين والفلاسفة وزهت حركة الترجمة، ونقلت الثقافات الأجنبية إلى اللغة العربية.

---

[1]– أبو العلاء المعري، أبو العلاء المعري دفاع المؤرخ ابن العديم عنه، دط، دار سعد مصر للطباعة والنشر مصر، القاهرة، 1915هـ، ص 178.

[2]– تغريد زعيمان، المرجع نفسه، ص ص 105.

[3]– تغريد زعيمان، المرجع نفسه، ص 106.

العصر العباسي الثاني:

ويطلق عليه عصر ضعف الخلافة العباسية، وزمنه من سنة 232هـ إلى 334هـ وفي هذا العصر يقوي بأس الفئات التركية ويعظم أثرها في المجالين العسكري والسياسي، غلى أن المعتصم من أبناء هارون الرشيد كانت أمه (ماردة)، فنشأ ومعه كثير من طبائع الأتراك مع الميل إليهم لأنهم أخواله، فاستخدمهم في الجيش ليقاوموا النفوذ الفارسي.

وبسيطرة الأتراك على الخلافة والخلفاء، انتقلت سياسة الدولة من أيدي الفرس إلى أيدي الأتراك[1].

ويمكن القول بأن الخلافة العباسية في هذا العصر كانت أشبه ببرزخ عبرت عليه من طور القوة والسلطان إلى طور الضعف والانحلال، وخاصة بعد اتساع المملكة العباسية ونظام الاقطاع فيها.

ثم إلى نشوب ثورات كثيرة كثور في الزنج والقرامطة وفضلا عن ذلك فقد تعددت في هذه الفترة ثورات العلويين الذين عمل بعض الخلفاء على اضطهادهم وتشريدهم وتشديد النكير عليهم.

العصر العباسي الثالث:

ويمتد من سنة 334هـ إلى 447هـ ويبرز فيه النفود الفارسي، وتضعف سلطة الخليفة العباسي ولم يبق للخلفاء إلا الاسم واللفظ ويؤدي ذلك إلى ظهور عدة دويلات في دولة واحدة، كان بعضها دولا غير عربية ولا عباسية تنبع في أطراف الخلافة ثم تستقل بما تحت يدها وربما مد بعضها نفوذه إلى بغداد نفسها.

وقد عاصر أبو العلاء ثلاثة من هذه الدول: دول الديلم، وقد برز أثرها في حياة أبي العلاء حين رحل إلى العراق، والدولة الحمدانية بحلب وقد خضع لها (أبو العلاء) منذ ولد إلى أن ظفرت بإسقاطها دولة الفاطميين، وهي الدولة الثالثة التي عاصرها أبو العلاء، ويكفي بأن نقول بأن هذا الانقسام السياسي الذي تبينه أسماء تلك الدول، يعني أن المسلمين في ذلك العصر، لم تكن لهم دولة جامعة ولم يزلمهم علم واحد[2].

---

[1]– تغريد زعيميان، المرجع نفسه، ص 106.

[2]– تغريد زعيميان، المرجع نفسه، ص ص 106، 107.

فيا لهذا العصر الذي عاش فيه المعري، لا هم لملوكه وزعمائه إلا للذاتهم وأهواؤهم، وإلا مصادرة أموال الناس، وإشاعة الفوضى في البلاد، والزيغ في قرارة النفوس –هذا العصر المضطرب الذي عاش في أصيره وأهوائه قد جعله ونفسه أميل إلا التشاؤم، ينظر إلى الدنيا هذه النظرة السوداء[1].

2/ العوامل الفكرية والعباسية في العصر العباسي:

تكمن أهمية العصر العباسي في إبراز الحركة العقلية وأهميتها في المجتمع، مما شكلت صدى كبير تركت الأدباء والشعراء ينفتحون على ثقافة الآخر.

أ-العوامل الفكرية:

"كانت الدولة العباسية تمتد من حدود الصين وأواسط الهند شرقا إلى المحيط الهندي والسودان جنوبا إلى بلاد الترك، والخزر، والروم، والصقالية شمالا، وبذلك كانت تضم بين جناحيها بلاد السند، وخراسان، وما وراء النهر، وإيران، والعراق، والجزيرة العربية، والشام، ومصر، والمغرب"[2].

كان يقطن هذه الأوطان منذ القديم شعوب متباينة في الجنس، والثقافة، واللغة مع أنماط تكد تدخل في العروبة حتى أخذت عناصرها تمتزج وتنصهر داخل العنصر العربي، وها نحن أمام أمة عربية تتألف من أجناس مختلفة، وقد انصهرت هذه الأخيرة داخل وعاء عربي حتى أصبحت كأنها جنس واحد يتفق في العادات والتقاليد وحتى في الفكر والثقافة.

شهد العصر العباسي حركة ازدهار عقلية كبرى تمثلت في الفلسفة، والأدب، والعلوم الدينية واللغوية .

وإذا كانت لحرية الدين والفكر فوائد من ناحية، فقد كانت لها عواقبها أيضا، وذلك لنشر الخلاعة، والمجون، وظهور البدع في الإسلام، وأثر الاختلاط أحدث اضطرابات خلقية. "ومع هذه الحرية الفكرية وبسبب من الحركات العقلية المختلفة التي انتشرت في هذا العصر بدا التناقض جليا في شعر الشعراء وأدب الأدباء، فقد التقى العلم بالفلسفة،

[1]– أبو العلاء المعري، أبو العلاء المعري دفاع المؤرخ ابن العديم عنه، دط، دار سعد مصر للطباعة والنشر مصر، القاهرة، 1945هـ، ص 175.

[2]– آمنة قروات، أثر الحركة الفلسفية في العصر العباسي، أبو العلاء انموذجا، 2012م–2013م، ص 22.

والتحليل الخلقي بالتصوف، والأدب واللغة والفقه بمفهوماتها القديمة مع الهندسة التنجيم والكيمياء، والرياضة بمفهوماتها الحديثة، والتقت المذاهب الكلامية التقاء عنيفا"[1].

وكان هذا التناقض في إطار المعرفة صورة أخرى للتناقض في الحياة بسبب هذا الاختلاط والامتزاج، ففي بغداد اجتمعت مختلف التناقضات، ففيها المنتزهات الجميلة، والقصور والمتاجر، حيث ثم مجالس الشرب والغناء، وبها المساجد حيث ثم حلقات العلم والمذاكرة، وفيها أحياء خلفية للعامة يسكنها الكادحون واللصوص وعامة الناس.

وكانت الدولة العباسية مزيجا من شعوب كثيرة وكان يتجلى غلى عقلية هذا الشعب أثر الثقافات والوارثات، وقد كانت الثقافة الفارسية منتشرة في تلك الحقبة.

تطور الحركة العقلية يعني تطور البنى الاجتماعية وازدهارها في شتى المجالات، "وبعد فهذا العصر كان زاخرا بالعلوم، قديمها وحديثها، كما كان حافلا بالعلماء والمفكرين والفلاسفة وكانت العلوم المترجمة شرطا في تكوين ثقافة الكاتب و الأديب، وراج علم النجوم حتى انتشر بين الخاصة وجمهور الناس، والأدباء وعلى أية حال فلن تكن مناهج التفكير واجدة عند جميع الناس، وكان الخلاف بين هذه المناهج على أشده في العراق"[2].

ب- العوامل الاجتماعية:

إذا قلنا مجتمع قلنا تعدد الطبقات، وانتشار الأخلاق بأنواعها، وتنوع الحياة بأنواعها يؤدي إلى تنوع الأفكار والثقافة.

" توزع المجتمع العباسي إلى طبقات عديدة ما بين عرب، وفرس، وترك، وكان هناك تفاوت طبقي واضح بين الطبقات، فكان على رأس المجتمع طبقة الخلفاء والوزراء، والقواد، والأثرياء، وكانوا يستأثرون بمعظم الأموال ويعيشون في رفاهية ويتمتعون بالخيرات لاسيما الخلفاء الذين بنوا القصور الفخمة حتى إن الخليفة المتوكل كان يمتلك نحو عشرين قصرا وكانوا ينفقون ببزخ وإسراف في الحفلات"[3]

تنوعت الحياة الاجتماعية إلى خاصة وعامة وترف وفقر، ونسك ولهو، فقد اختلفت المذاهب والمبادئ الدينية[4].

---

[2]- فوزي عيش، في الشعر العباسي، ط1، دار المعرفة الجامعية القاهرة، الاسكندرية، ص 38.

[4]- ينظر محمد عبد المنعم خفاجي: الآداب العربية في العصر العباسي الأول، دط، دار الثقافة للطباعة والنشر، مصر، القاهرة، دت، ص ص 28، 29.

وقد قامت جماعات نكافح الشك في الدين، والمجون، في المجتمع ويدعون إلى الحياة الإسلامية بأخلاقها، ومبادئها، وسلوكها، ومنهم الحنابلة الذين كانوا يقومون بثورات كثيرة في بغداد لمحاربة المجون، والالحاد، والترف.

لاشك في أن هذا التمازج كان شديد الخطر، عظيم الأثر في الحياة الاجتماعية، وقد ظهرت نتائجه واضحة في الأخلاق، والعادات، والتقاليد، وفي العقول، والأجسام، وشتى نواحي المعيشة، ونخلص هذا في نقاط رئيسية نصور به هذا الأثر:

– انتشار العادات الفارسية في المجتمع بسبب الاختلاط في الطعام، والشراب، والسكن، واللهو، والغناء.

– انتشر العبث، والمجون، والفساد، والالحاد، والزندقة، وانتشار الرشوة في كل مكان وكذا انتشار الغناء بفضل هؤلاء المغنيات.

– وكان طبيعيا أن تتأثر العقول والأفكار، وكان من الإيجاب أن تتسع الثقافة، وتنضج المواهب كما ذهب الناس وعرفوا من العلوم والفنون.

ولعل هذا الحديث عن الحياة الاجتماعية يشكل لنا مدخلا مناسبا للبحث في ظاهرتين متناقضتين تميزت بهما الحياة العامة في العصر العباسي وهما: المجون والزندقة[1].

المجون والزندقة: ظهرت هذه العوامل في هذا العصر الزاهي وكان لها دور في تغيير المجتمع العباسي تشكيل بعض التغيرات فيه.

ظهر المجون مع بداية ق2هـ، والعوامل الاجتماعية التي ساعدت على انتشاره بكثرة ومنها كثرة الرفيق والجواري، ومنها استقرار الحياة وازدهار المجتمع وما يتصل بهما من وجود الحرية واستهزاء بعض الخلفاء بالقيم العربية الاسلامية، إذا تورطوا في شرب الخمر.

وهناك ظواهر اتصلت بالمجون منها الزندقة والشعوبية:

حيث ازداد عدد الزنادقة منذ بداية العصر العباسي، أما الشعوبية والتي تعني التعصب الفارسي على العرب، وقد كشفت عن وجهها القبيح في العهد العباسي في حمى

[1]– آمنة قروات وآمال مخلوف: أثر الحركة الفلسفية في العصر العباسي "أبو العلاء المعري أنموذجا"، مذكرة لنيل شهادة الليسانس، 2012م/2013م، ص 30.

الحكم الهاشمي العباسي المعتمد على ركائز فارسية و هو الامر الذي كان سببا في تمزق المجتمع الاسلامي، المسؤولية مشتركة بين الجانبين الأعجمي و العربي.

الزهد: في المجتمع العباسي لم يكن في مجمله مجتمعا منحلا يسلم نفسه للشهوات و الترف و انتشر الكثير من الزهاد الذين يعشون حياة زاهدة خالصة لله، من اشهرهم : أبو العتاهية و أبو العلاء المعري و لعل عوامل ازدهار الزهد في العصر العباسي الحياة السياسية المضطربة و ما تلاها من فتن و زراعات، فالزهد هو رد فعل لانتشار المجون، كما يؤكد على التمسك بقيم الدين الحنيف، و انتشار الثقافات الفارسية و الهندية و اليونانية وما تضمنته من نزاعات فلسفية و صوفية و قد ظهر تيار الزهد في مناطق للدفاع عن صورة الدين و الجهاد في سبيل الله وهذا يظهر في قول أحد الشعراء[1]:

قل لمن أظهر التمسك في الناس و أمسى يعد من الزهاد

إلزم الثغر و التواضـــــع فيه ليس ببغداد منزل العباد

3- الحياة الدينية:

الديانات كلها من منبع واحد و هو الله سبحانه و تعالى، و الاسلام خاتمتها و لذلك كان أشمل و اكمل فمن طبيعة اللاحق أن يضيف جديدا للسابق و لكن الحقيقة أن كثيرا من المسلمين باعدوا عن الدين الصحيح و هم عرفوا مبادئ الاسلام، ولكنهم باعدوا عن أخلاقه.

وفي عصر المعري اشتد التناقض في الأديان رغم منبعها الواحد فتراه يقول[2]

وما أسلم مسلم شرهـــــــم و لا يهود لتـــــوب هادوا

و لا النصارى لديهم نصــروا و كلهم لي بذلك اشـــــهادا

و كل ما عندهم دعـــــــــا و حتى يقيموا به شهـــــودا

و من الدلائل على الاختلاف في الأديان أن هناك نوعين من المسيحية يتبع المفكرون نوعا، وتتبع الكنيسة وعامة الناس نوعا آخر بعيدا عن النوع الاول في حين أن مبادئ الإسلام و حيدة عند جميع المسلمين و مفكريهم، فوحدانية الله و كون محمد (ص) عبده

[1]- ينظر المرجع السابق، ص 35.

[2]-ينظر المرجع نفسه،ص 47-48.

ورسوله، و نظام الزواج و الطلاق أمور لا تختلف عند المسلمين عالمهم و جاهلهم. ولهذا يزداد المسلم حبه للإسلام كلما زاد تعمقا في دراسته.

هذا و قد تعددت في عصر المعري الفرق و المذاهب منها المعتزلة حيث يقول:

و معتزلي من اوافقه، ساعة أقول له: باللفظ دينك أجزل

كما ظهرت الأشاعرة[1] فيقول:

استغفر الله واترك ما حاك لهم أبوالهديل، و ما قال ابن كـــــــــلاب

وخلفوا الشرع لما جائهم بتقي و استحسنوا من قبيح الفعل ما شرعوا

كما وجدت الصوفية فيقوت:

صوفية، شهدت للعقل نسبتهم بأنهم ضأن صوف نطحـــــها يقص

هذا إلى جانب وجود فرقة الاسماعيلية، فهي فرقة مغالية منفرق الشيعة التي تعتد بالإمامة، فقد كانوا لا يختلفون عن الشيعة إلا في شخص الامام و قد نشرت بين العامة بعض ألغازها حتى تستطيع السيطرة على عقولهم فكان دعاتها ينشرون بين الناس أئمتهم يعرفون الغيب و يكشفون أسرار المستقبل على الحد الذي أشاع سخرية الناس بهم و بدأت الدعوة تفقد رونقها و قوتها.

و على جانب اختلاف العقائد، كان ظهور الزندقة في عصره، و على العموم كثرت الفرق المسلمة التي تكفر بعضها بعضا حيث قال المعري[2] فيها:

ملل غذت فرقا، و كل شريعة تبدي لمضمر غيرها، إكفارها

وخلاصة الأمر أن اختلاف المذاهب و العقائد ادى على ظهور الصراع بينها و قد انعكس ذلك على سلوك و عقول الناس، مما ادى إلى ضعف العقيدة الدينية بطغيان النزاعات والفلسفات الأجنبية و انتشار الالحاد و الزندقة، كما انتشر التصوف و الشعوذة الدينية.

[1]– سناء خضر، النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة و الدين، د ط، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر مصر، القاهرة، د ت، ص44–45.

[2]– ينظر المرجع نفسه، ص46.

الفصل الثاني

1- ثقافة أبي العلاء المعري:

أشتهر المعري بالشعر والأصالة، فتطرق لعباراته، وبصفة خاصة شعره في " سقط الزند" وهو وإن كان يحدوا حذوا المتقدمين في بناء القصيدة، وفي معظم المعاني التي نتطرق إليها، فإنه ليوحي إليك أنه شاعر اكتملت فيه صفته الشاعرية، فكان حكيما متفلسفا وزاهدا صاحب رؤية ونظر في الكون وفي الناس وفي الوجود والحياة والفناء والدنيا والآخرة ، ويبدوا ذلك جليا، على الخصوص في اللزوميات وفي رسالة الغفران، ولهذا تناولته الأقلام وكثرت حوله الآراء في جميع المجالات السالفة الذكر.

وهذا لا يعني أن" ديوان سقط الزند" بما فيه" الدرعيات" لا يشتمل على بعض التأملات والأفكار الفلسفية والآراء الثقافية، فيما يخص الكون وتجارب الحياة، بل إن تباشير والأفكار الفلسفية والآراء النافية، فيما يخص الكون وتجارب الحياة، بل إن تباشير العلم والفلسفة والاكتمال اللغوي والثقافي، انطلقت منه، فهو أساس لما بنا بعده ومثال ذلك قوله:[1].

غير مجد في ملتي واعتقـــادي نوح باك ولا ترنـــــــــــم شاد
وشبيه صوت النعي إذا قـــــبـــ ـــس، بصوت البشيـــر في كل ناد
صاح؟ هذي قبورنا تملأ الرحـــ ـــــب، فأين القبور من عهد عاد.

وقوله:

وكالنار الحياة فمن رماد أواخرها وأولها دخان
إلام وقيم تنقلها ركاب وتأمل أن يكون لنا أوان

إلى غير ذلك، من القيم والتأملات التي يزخر بها هذا الديوان، وكان أبو العلاء، بالإضافة إلى ما سبق ، واسعة الثقافة والعلم مستبحرا في اللغة ماسكا بزمامها، ضاربا فيها بالسهم الفائز، إذ كان نحويا[2].

ذا رأي، و عروضيا صاحب فن، كما كان عالما بالصرف و اللغة تتذكر معه ابن جني و غيره من الفطاحل المعتمدين و إضافة إلى ذلك جلس إلى أهل الحديث و الفقه والزهد و الكلام، و كان البارع المتوقد الذكاء فهما و تعليلا.

---

[1]- أبوا العلاء المعري، سقط الزند، الدار القومية، للطباعة والنشر، مصر، القاهرة،1945، ص 608.

[2]- عبد الفتاح نافع، الشعر العباسي قضايا وظواهر،ط1، دار الجرير للنشر والتوزيع، عمان الأردن،2008، ص ص 210،211.

يبدو ان أولى الأزمات التي واجهها المعري في عصره كانت أزمة الأخلاق فقد ساءت في زمنه الأحوال الاجتماعية و عم الفقر و انتشر الفساد، و تكالب الناس على الدنيا دون اعتبار لخلق أو دين ، و وجد المعري أن واجبه يحتم عليه أن ينقل صورة صادقة لما يشاهده من أوضاع فاندفع يتحدث عن إنسان عصره في غدره و خداع و نفاقه و في جوره و كذبه و ضلاله. فرأى في الناس ذئابا مخادعين:

و عاشوا بالخداع، فكل قوم تعاشر من ذئاب، أو نمور

إذا ضحكوا لزيد أو لعمرو فإن السم يخبأ بالعمور

و هم يتسترون بالنفاق بغدر الأخ بأخيه فلا تجد بينهم صاحبا تثق به:

غدرت بي الدنيا و كل مصاحب صاحبته غدر الشمال بأختها

و انقلبت الموازين و ماتت القيم النبيلة في النفوس:

قد فقد الصدق و مات الهدى و استحسن الغدر و قل الوفاء.

يعيد المعري أزمة الأخلاق التي يعيشها العصر إلى المادة و إلى تكالب الناس عليها. فقد غالو في حب المال و أصبح هدفا اعتقدوا أنه يوصلهم إلى الزعامة و الشهرة، فاصطنعوا المذاهب و الطرق و تاجروا بالدين و سعوا إلى خلق الرئاسات و تحطيم الدولة و تفريقها ليصلوا إليه و دعا المعري إلى ثورة تحرر الإحسان من هذه الآفة الاجتماعية فأجهد نفسه في حث الناس على الزهد و التخفيف من تقديس المال. يقول:

و المال يسكت عن حق و ينطق في بطل و تجمع إكراما له الشيع[1].

و رأى المعري في الزكاة مثلا عظيما لما يدعوا إليه، و وسيلة لسد حاجة المعوزين لو قام الناس بتأديتها.

و هو إذا كان قد وقف بحزم إلى جانب الفقراء على صعيد الواقع و دعا إلى سد حاجاتهم، فقد سخر فنه أيضا على صعيد النفس لإرضاء مشاعرهم و لمواساتهم و تعزيتهم بسبب ما هم عليه من فقر. فهاجم المادة و ذم المال فهو حبالة الشيطان و وسيلة من وسائل الضلال و كثرته مطرة للمرء. و الفقر محمود لا سرف معه كما هو الحال في الغنى، و في الفقر راحة و في الغنى قلق و في عالم الفناء يستوي الأغنياء و الفقراء.

[1]– عبد الفتاح نافع، الشعر العباسي، قضايا وظواهر، ص ص 212،213.

وقلة المال أفضل من الإثراء غير المشروع و الفقر لا بعيب فهو الأقل في الإحسان والغنى صفة عارضة:[1].

و ما في الأرض من أخدعني و لكن كلنا فقراء عالة.

و قد عانى المعري في تحديه للدنيا عناء شديدا، فقد ألزم نفسه بآرائه و نصب منها مثالا للآخرين في الزهد و التقشف و قلة المال. ففرض على نفسه العزلة عن الدنيا و ظلم نفسه خمسين عاما و حملها ما تطيق و ما لا تطيق، و أخدها بالمكروه في حياتها العملية و القلية معا. و أخضع حياته الحسية لأوضاع قاسية من الحرمان و الزهد في الطعام واللباس. إذ يقول:

بلا مال عن الدنيا رحيلي و صعلوكا خرجت بغير مال.

عاصر المعري أخطر الأزمات التي مرت بها الأمة العربية فقد شهد تصدع السياسة العربية و فقدان الدولة لمقاليد الحكم الحقيقي بفقدان الخلافة لسلطانها الروحي و الزمني، كما شهد استقلال الأطراف عن حكم بغداد، و اندلاع الفتن و الحروب و الانتفاضات السياسية و ما تبعها من ظهور مذاهب هدامة و جماعات سرية تهدف إلى نزعات سياسية خطيرة، و شهد تدهور الأحوال الاقتصادية لانعدام السلم و الأمن و العدل.

كان المعري على وعي تام بوظيفة المثقف الحقيقية. فقد أدرك أن الثقافة تعني الاستقامة في ميادين الفكر و العقل و الروح و النفس و العمل. و أن المثقف مدعو بحكم ثقافته أن يتفاعل مع الحياة فبفكر في قضايا وطنه و بلاده كما يفكر في هموم الإحسان عامة. وأدرك أن الثقافة تعني الاستقامة في ميادين الفكر و العقل و الروح و النفس و العمل. وأن المثقف مدعو بحكم ثقافته أن يتفاعل مع الحياة فيفكر في قضايا وطنه و بلاده كما يفكر في هموم الإحسان عامة. و أدرك أن الثقافة لا ينبغي أن تكون مجرد إتقان علوم الأوائل و احتراما تحدث عنه الناس في الماضي البعيد كل ينبغي أن تكون عنوان العطاء الجديد الذي يعطيه المثقف و عنوان الممارسة الفكرية التي يقوم بها و كان يشعر بالشقاء و هو يرى أن الطبقة المثقفة تقع ضحية للأسف و تعتقد أن خلود الأدب و الفن لا يتم إلا بتقمص جنن الأخلاق دون نظر إلى أن الخلود لا يكون إلا بالتحديد الدائم. و لعل أخطر الأزمات التي واجهت المعري كانت أزمة في المعتقد فقد عاش المعري في إبان الحضارة

[1]– المرجع السابق، ص ص 214،215.

الفكرية العربية التي نقلت فيها علوم اليونان و سواها إلى العربية، فاختلطت بما فيها من بحث منطقي و نظريات فلسفية بروحانية الشرق و نتج عن ذلك تعدد المنازع الفكرية والكلامية مما أحدث بلبلة و شكا في عقول الكثيرين. و استولى على بعظهم و منهم المعري– روح الانكار و الأدرية فرفضوا ما لم تقبله عقولهم من تعاليم و سنن و تاقوا في هذا الجو الفكري المضطرب إلى المعرفة و بلوغ الحقائق المشبعة للعقل فاصطدمت لديهم التقاليد بالتفكير الحر و انعكس هذا في آرائهم. و كان لتشجيع الدولة العباسية للحرية الفكرية أثره في دخول بعض العناصر الأجنبية بمعتقداتها القديمة إلى الساحة العربية، فأنتشر الفسق و المجون و التجرؤ على الدين مما أدى إلى ظهور فرق إسلامية حملت على كاهلها مسؤولية الدفاع عن الدين و الوقوف في وجه الملحدين و الزنادقة والمشككين و أصحاب البدع، معتمدين على ثقافتهم الإسلامية و ما استقادوه من معارف و ثقافات أجنبية و لا سيما الفلسفة و المنطق و ألفوا في ردودهم كتبا و رسائل[1].

كان المعري على وعي تام بكل ما يضطرب به عصره من حركات فكرية وكان واضحا وجريئا في الكشف عما في مكنون نفسه من أراء سواء ما اتصل منها بالناس وجماعات أو ماتصل بالدين والمعتقدات، وكان يبدي رضاه، ويقينه وشكه، معطيا لنفسه حرية عقلية لاحدود لها، فحرر نفسه من القيود الدينية والاجتماعية والطبيعية، وفهم الدين على أنه مشاعر وعواطف وليس عقائد وطقوسا فوقف موقفا صارما في وجه الخرافات والتقليد الأعمى وإدعاء التدين، وجلب هذا الموقف له متاعب جمة من نفسه ومن الناس، فقد عاش أزمة فكرية في معتقده ، فيها إيمان وفيها شك، فيها يقين وفيها تردد وحيرة، كان يحاول أن يرضي نفسه الباحثة المنقبة عن الحقيقة، وكان لا يريد أن يؤدي نفسه في مشاعرها وعواطفها اتجاه الأصول والمعتقدات.

تعتبر الحياة الانسانية دوامة من الأجناس الثقافية والتي تمثل الجانب التطبيقي والتي تتمثل عبر انجازات الإنسان البشرية والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وعلاقة هذه الأخيرة بالكون ومافيه من أشرار وأخيار وفضائل ورذائل، إذ يترجمها الشاعر في مؤلفاته الأدبية سواء كانت شعرية أم نثرية باعتباره عينة من المجتمع الذي تتمثل فيه هذه الأجناس والسلوكيات الفرد ومطامع الناس ومظاهر السعادة في النفوس التي

[1]– ينظر المرجع السابق،216.

تختلف من شخص لأخر، وبهذا يعتبر الشاعر ترجمان لهذه المجتمعات وسلوكياتها لأجل إصلاحها وإصلاح الفرد سواء كان عربي أو غير عربي.

إذن من بين هذه الأجناس الثقافية نجد النسق الاجتماعي والنسق السياسي والنسق الفلسفي والنسق الديني.

2- أهم الأنساق الثقافية في شعره:

1) النسق السياسي: حيث إذا نظرنا إلى الحياة بصفة عامة نجدها نجدها تمثل حياة الإنسان بصفة خاصة من حيث مطامعه ونفسيته المتغيرة المتعلقة بتغيير هذه الأخيرة من عادات وتقاليد وكذلك الناس ولهذا نجد إن سبب هذا التغيير هو الظروف القاسية في هذا المجتمع حيث نجد شاعرنا العظيم أبي العلاء المعري عينة من العينات التي تنطبق عليها هذه النظرة، والتي أدت بيه إلى عدة وجهات منها:

أ)الاغتراب: يعد هذا المفهومون أكثر المفاهيم التصاقا بالإنسان أو بالناس عامة فهو من طبيعته ، بل يمكن إن نقول انه دافع من دوافعه الأساسية يختلف من شخص لأخر س، ومن امة لأخرى س، ذلك لسانه يتغير ويتلون بتغيير وتكون صاحبه ومجتمعه وما يحكمه من أنظمة ومؤسسات وطبيعة هذه الأخيرة وما يحتويه من عادات وتقاليد وغيرها.

حيث يعد هذه الظاهرة بأنواعها أنها لم تنشأ من فراغ إبان العصر العباسي وإنما نشأت نتيجة دواعي وأسباب سياسية وثقافية اجتماعية واقتصادية، حيث كانت لهذه العوامل أدوار فعالة في إبراوذز مثل تلك الأنواع

أ.1-الإغتراب الزماني: وهذا نجده متعلق بالوطن والأهل والأحباب، ولهذا نجد الشعراء يعبرون عنه داخل بلادهم غير منفصلين عنه وعلى إثر هذا نقول أن الدهر من بين المواضيع القديمة التي اهتم بها الإنسان العربي، ولهذا لم يغفل عنه جل الشعراء الذي من بينهم أبوا العلاء المعري

* **الشاعر وأحداث العصر:** فكما قلنا سابقا بأن هذا الموضوع أولا اهتماما كبيرا من طرف الشعراء وهذا من خلال معالجته موضوعيا من طرف شاعرنا أبوا العلاء المعري، وهذا ما نجده في أشعاره المتناثرة هنا وهناك[1].

[1]- طه حسين المجموعة الكاملة أبوا العلاء المعري، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان، 1983، ص 270.

نزول كما زال أباءنا ويبقى الزمان على ماترى

نهار يمر وليل يقر ونجم يغور ونجم يرى

فأبوا العلاء هنا في هذه الأبيات يذكرنا زمانان هما زمان أبدي سرمدي، وزمن عادي، أي عمران، وأيضا عمر مظاهر الطبيعة من نهار وليل ونجوم، حيث نجد أن الزمان العادي يبدأ وينتهي بدائرة مستمرة داخل الزمان الأول ويقول الشاعر فيه.

من أحسن الدهر وقتا ساعة سلمت من الشرور وفيها صاحب حدث

أعجب بدهرك أولاه وأخره إن الزمان قديم سينة حدث[1].

فالزمان على حد قول المعري قديم ظهر منذ ظهور الإنسان إلى الوجود في الحياة فهو هنا مندهش من هذا الزمان مند البداية لنهاية إلى أن يقول

خسست ياأمنا الدنيا فأف لنا بنو الخسيسة أوباش أخساء

ونجده شاكيا من هذا الدهر الذي كواه بمصائبه وحوادثه إذ يقول

أشفقت من عبء البقاء وعابه ومللت من أري الزمان وصابه

ووجدت أحداث الليالي أولعت بأخي الندى تثنيه عن أرابه[2].

وهنا نجده يتألم من حوادث الدهر التي جعلته يثمن الموت والزهد في الدنيا التي كلها مشاكل وحوادث حيث نجده ثأره يتحدث عن تعاقب الليل والنهار في الزمان وهذا ما يدل عليه قوله

نهار وليل عوقبا أنا فيهما كأني بخيطي باطل أتشبث

أظن زماني كونه وفساده وليدا بثرب الأرض يلهوا ويعبث[3].

ومازال يتحدث عن الليل طالبا أن يطول شبابه، أي يدوم ولكن لشدة المصائب التي جرت في عصره شاب قبل وقت المشيب فيقول:

سار الشباب فلم نعرف له خبرا ولا رأينا خيالا منه منتاب[4].

---

[1]– عبد القادر زيدان قضايا العصر لأبي العلاء المعري، ط 1، دار الوفاء، مصر القاهرة، 2004، ص 171.

[2]– أبوا العلاء المعري، اللزوميات، د ط ، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ج2، 702.

[3]– أبوا العلاء المعري، اللزوميات، ج1، ص، 166.

[4]– ابوا العلاء المعري، المصدر نفسه، ج 1، ص، 41.

أ.2-الاغتراب عن الناس:

لقد دم المغري اهل عصره، وبين فسادهم والصفات الذميمة التي اتصفوا بها من نفاق ورياء وجهل، فئة أهل الدين حيث يقول

وقد فتشت عن أصحاب دين لهم نسك وليس لهم رياء يميد[1].

فأبوا العلاء وجد علماء الدين منافقون في نظرة ولهذا هاجمهم لأنهم في الظاهر يظهرون الصلاح والتقوى والنسك وفي أنفسهم يبطنون الطمع والشجع وحب المال يقول أيضا:

كذب يقال على المنابر دائما أخلا يميد كما يقال المنبر

فهو يؤكد أن علماء الدين لا يدفعهم إلا التكسب والطمع في اعتناقهم للدين إذ يقول:.

لقد وصل الخلق ما كان فيهم ولا كائن حتى القيامة زاهد

تدعوا فقالوا ناسك وابن ناسك وماهوا إلا مار دأبن مارد[2]

ونجده أيضا يدم الخطباء الذين يتباهثون بالأمراء والحكام بصفات الحميدة تستعمل الصالح وغيرها من الصفات التي تميزهم عن العامة على حين أنهم في ظلال؟ فهو يقول:

ما اجهل الأمم الذين عرفتهم ولعل سالفهم أظل وأثير

يدعون في جمعاتهم بسفاهة لأميرهم، فيكاد يبكي المنبر

الجانب السياسي الحكام:

أي "المعري" وطنه نهب الأهواء، والشهوات ورأى البلاد العربية، ومألت اليه من الضعف والاضطراب فبديهي أن يؤثر ذالك في أن يقسو قسوة مرة على منه يظهرون وكأنهم ملائكة الرحمة بينما هم من الأبالسة فنجده يقول عن فقدان العدل[3].

- **فضالهم واخد مالا يحل له ومنصف ظل فيهم ليس ينتصف**

فهنا دلالة على عدم وجود العدل من طرف الرؤساء وهذا من خلال انتشار الفتن والظلم والسلطة من طرف الحكام وكما نجده ينتقد الرؤساء بقوله

وتحالف الرؤساء يشهد، مقسما أن المعاشر ما اهتدت لصوابها. [4]

---

[1]-يوسف خليق، في السهر العباسي نحو منهج جديد مكتبة غريب دار قباء للطباعة، ص 182، 183.

[3]- سناء حضر، النظرية الخلقية عند ابي العلاء العري بين الفلسفةوالدين، دار الوفاء، للطباعة.

[4]- ابوا العلاء المعري، ديوان اللزوميات، ج 2، 54.

ويقول أيضا:

تتوي الملوك ومصر في تغيرهم مصر على العهد والأحساء أحساء.

فمن خلال أ هذا البيت يتضح لنا أن الملوك هم أسباب الانتشار الظلم والنظام الفاسد الخالي من العدل، وهذا مما أذى إلى ظهور الفوضى وشعور ابي الغلاء المعري بالغربة في مجتمعه واتجاهه الى عالم اخر حيث يكون فيه زاهدا في الدنيا ومن متاعها الفاني ويقول

أرى حلبا حائزها صالح وجال سنان على جلفا

وحسان في سلفي طي يصرف من عرة ابلقا[1].

وصالح هذا هو أسد الدولة ابوا صالح بن مرداس الكلابي أو لشعر ملوك بني مرداس بحلب وقال المعري : الشعر فيه لأن صاحب يوم اله قبل شفاعته في ان امرأة صاحب يوم الجمعة بجامع المعرة وذا أن صاحب الماخور اراد اغتصابها، فنفر كل منفي الجامع وهدموا الماخور.

وقوله ابوا القاسم الحسين بن على العالم الأديب المشهور بالوزير المغربي، صاحب مختصر إصلاح المنطق، وأدب الخواص ،والمأثور في ملح الجدور وهو الذي كتب له ابوا العلاء رسالته المسماة بالمنيح حيث كان الوزير من الدهاة العارفين، محبا للفتن، وهو الذي انتقل الى الحجاز، وهو يفدينا الولاة على الحاكم حتى اقله، ودخل العراق فاتهمه القادر العباسي بالسعي في افساد الدولة العباسية ولما توفي رثاه أبو العلاء في قوله

يبقى الضرب الطويل على الأرض ولا ذو العبالة الرحابة

ياأبا القاسم الوزير ترحك ت وخلقتني نفال رحايه[2].

فهنا يقصد أن هذا الحاكم لم يكن عادل وها قد مات ولم يأخذ شيء فكل شيء زائل يبقى سوى الأعمال الصالحة.

[1]– ابوا العلاء المعري، المصدر نفسه، ص 54.

[2]– أحمد باشا، تشبه واخباره ومعتقده، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، إ5–، القاهرة، ص120.

2- النسق الفلسفي: يعتبر هذا النسق من بين الأنساق الأكثر عرضة من طرف شاعرنا-أبي العلاء- باعتباره فيلسوف عصره والمشهور فيه بفلسفته التي تعد البحث عن وجود العالم، إذ يتطرق الإنسان الى الموجود بما هو موجود، حيث عن طريق أوضاع عصره المزرية المتمثلة في الجانب السياسي وكذلك الاجتماعي وتأثيرها عليه نتطرق الى مواضيع فلسفية من بينها:

أ- فلسفة الحياة والموت: إذ يعتبر من بين القضايا الأكثر دورانا في أدبنا العربي خاصة الشعر وهذا لارتباطها الوثيق بالكون وما فيه وخاصة نفسية الشعراء أو الانسان بصفة خاصة ، وهذا لشدة أثرها ومن بين هؤلاء الشعراء ابي العلاء، حيث إذا قرأ القارئ شعره يتبين له نظرة للحياة التي تذكرنا بنظرة شوبنها ور الفيلسوف الألماني الذي قد باعد بين سلوكه في الحياة ونظرته إليها وكذلك اختلاف فعله وقوله، فهو في قوله نجده يلح على الزهد في الحياة أما في فعله فهو يغنم لذاتها لكنه في قوله يرى أن السعادة تكمن في الابتعاد عن شهوات الحياة لكنه في فعله ينافس الناس فيها.

أما المعري فقد توافق معه في فعله الزهد في قوله وكذلك في فعله وهو أيضا يرى السعادة في الابتعاد عن مطامع الحياة والسعي الى شهواتها الا انه تفطن إلى فكرة اختلاف مظاهر السعادة في النفوس فقال

تناهيك العيش النفوس بغرة فإذا كنت تستطيع النهاب فناهب[1].

فقال:

أن الشبيبة نار ان اردت بها أمرا فبادره إن الدهر مطفيها

حيث نجد من خلاله- البيت الشعري – أنه إدراك أن هناك من الناس من يجد السعادة حتى في الاقدام على المسالك حيث يقول:

ومن حب دينا هم رموا في وغاهم بغيض المنايا بالنفوس الحبائب.

أ-الشاعر والموت: يعتبر الموت موضوع بالغ الأهمية، وترجع لعوامل عديدة: فهو من ناحية يحتوي على كثير من المفارقات والمناقضات أما من ناحية أخرى فهو محزن وفيه تشاؤم، إذ قال سبحانه وتعالى:" كل نفس ذائقة الموت"[1].

[1]- احمد تيمور، نسبه واخباره شعره معتقده، صص 137، 138.

أما من الناحية المتناقصة فهي–الموت– تجمع بين العدم واليقين.

لأن الموت مصدر قلق للبشرية جمعاء ولكن بالمقابل نجد الخلود الذي يعتبر كحلم وهذا أذى بأبي العلاء المعري إلى قول الشعر في هذا الموضوع حيث نجده قد مل من هذه الدنيا التي كثرت فيها الشرور والآثام وهذاما جعله بمقتها ويفضل الموت حيث يقول

ظن الحياة عروسا خلقها حسن وانما هي غول خلقها شرس. [2].

فهنا نجد نسقين ضديين يجسدان موضوعه التمثل في حب الدنيا ومقتها، بين الصرع من الموت وحبه له، إلا أن الموت هو الحقيقة التي التي لم يشك فيها بعد إيمانه ورغم هذا فهو يهابه فيقول:

أنبانا اللب بلقيا الردى فالغوت من صحة ذلك النبأ[3].

وهناك من يرجع سبب مهابة المعري من الموت الى جهله مما وراءها ونلاحظ أن المعري يهاب من حقيقة الموت في القديم ربما لأنه لم يتوصل الى ذم الحياة وما فيها، كان ليزال في شبابه مفعم بالحركة والحماس متفاعلا على الرغم من مشاكل ومصائب الحياة وكذالك معاناته في مجتمعه.

وقد ربط المعري بين ثنائيات والذي تتمثل في الموت وألم واللذة حيث يقول.

تعب كلها الحياة فما أعـ جب إلا من راغب في ازدياد

إن حزنا في ساعة الموت أضعا ف سرور في ساعة الميلاد[4]

وهنا نرى أن المعري يبرز لنا فلسفته في هذه الثنائيات المذكورة مسبقا من حيث أن السعادة أو اللذة قد يملأها الم كبير، كما أن الألم أو الحزن قد يعقبه لذة.كما نراه قد جمع بين الموت والحرية الى ان انتهى الى ان الموت رغم عدم محبة الانسان له الا انها تحمل معها الحرية التي يتمناها الانسان ففي الموت تحرر من الدنيا وشرورها فقد عرف ان الحياة لا قيمة لها وان الخلاص منها يكون بالموت فيقول

موت يسير معه رحمة خير من السير وطول البقاء[5].

---

[1]– سورة العنكبوت، ص 57.

[2]– حياة بوعافية، الاغتراب في شعر ابي العلاء المعري، ماجستير، 2008، 2009، ص213.

[3]– سناء خضر، النظرية الخلقية عند ابي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، دار الوفاء للطباعة والنشر الإسكندرية، 251.

[4]– أبوا العلاء المعري، سقط الزند، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت 195، ص 92.

[5]– ينظر، سناء خضر، النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري، ص،253، 255.

وقد بلونا العيش أطواره فما وجدنا فيه غير الشفاء

كما نجده في مواضع أخرى يرتبط بين الموت والأخلاق فيقول.

وقد علما بأنا في عواقبنا الى الزوال ففيهم الضغن والحسد

ومن هنا نستخلص أن المعري كغيره من المسلمين أمن بحقيقة الموت ولم ينكرها، فهو حتمية على الانسان لأنه مصيره.

وهكذا بعد هذه الدراسة للموضوع الفرعي، الشاعر والموت رأينا أن نحضي عن طريق ديوانه سقط الزند واللزوميات كل الكلمات التي تتدرج تحت لفظة (موت) وتحمل نفس المدلول، كما هو مبين في الجدول:

الكلمة	التكرار
الموت	120
المنية+المنايا+المنون	99
الحمام	62

يبدو من هذا الجدول أن لفظة (موت) بعدها الموضوع الفرعي الرئيسي أكثر تواتر بين المجموعة، ويرجع ذلك لكثرة طلبه كان يتمنى الموت ويشتاق اليه فهو المخلص من العذاب كان يعيش والشقاء الذي يتكبده.

إضافة الى لفظة موت نجده استعمل لفظة المنية كمفرد حيث كررها(6) مرات واستعملها بصيغة الجمع والتي تمثلت في لفظه (المنايا) المكررة(74)مرة، والمنون المكررة ب(19) مرة، كما لأنسى لفظة الحمام، التي عوض بها الموت والمنايا فقد كررها(62)مرة،وذالك لأهميتها وقيمتها عنده.

يظهر لنا جليا أن المعري من أولئك الذين شعروا وهم داخل أوطانهم بنوع من الانفصال والضياع والتمزق وذلك راجع الى عوامل كثيرة جعلته يحسن الاغتراب بين ناسه وأهل زمانه خاصة وأن هذا الزمان زمان مليء بالمصائب والآفات التي قد تضر بالإنسان، فهي تعكس مميزات الناس في هذا الزمان المر الذي طالما اشتكى منه المعري فقد أذاقه مرارة الحياة لما لاقاه فيها والتي جعلته يفكر في فكرة الموت، حيث أصبحت

الفكرة الأخيرة التي يتمناها ويطلبها ليلا ونهارا من رب السماوات لكي يريحه من تعب الحياة ومشاقها.

والزمان والموت عنصران أو موضوعان- إن صح التعبير- فرعيان لموضوع فرعي ألا وهو الاغتراب الزماني، فقد كانت بصماتها واضحة من خلال مختلف الكلمات التي تدور في حقل دلالي واحد مثل الدهر والزمان والزمن والأيام والخطوب هذا اضافة إلى الموت والمنايا والمنية والمنون ومختلف الألفاظ الأخرى التي تحمل نفس المعنى.

يقول:

قديما كرهت الموت والله شاهد وقد عشت حتى اسمحت لي قرونتي

وأحسبــه لو جاءنــي لأبيتــه ومن عند ربي نصرتي ومعونتـــي

إذا أنا واراني التراب فخلنــي وما أنا فيه قد كُفيـــت مؤنتـــي

ثم لا نكبت أن نجد المعرّي مشتاقا إلى الموت لأنه سئم الحياة وملّها، فيقول:[1]

ابنُ خمسين ضمَّةً عقد تسعين يُزجــي له المـــوت حظّا

يتشكّى فظاظة من حيـــاة وأظنُّ الحمـــام منها أفظّا[2]

فهو بذلك بعد هذا العمر يتمنى الموت لأنه أطال البقاء في هذه الدنيا والرّحيل عنها يقول:

ربِّ متى أرحل عن هذه الــ دنيا فإني أطلت المقـــام

ويقول:

يا ربِّ أخرجني إلى دار الرّضى عجلا فهذا عالم منكـــوس

فهو هنا يطلب من الله أن يعجّل في رحيله من دار الدنيا إلى دار الآخرة، فإذن هو يتمنّى الموت، ويرى أنه هو الراحة من عناء الحياة حيث يقول:

الموت نوم طويل لا هبوب له والنوم موت قصير بعثه أهــم

وفي الخمول حمام والفتى قبــل وفي النّباهة عيس والفتى رمم[3]

---

[1]- أبو العلاء المعري، اللزوميات، دط، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ج2، ص ص 149، 150.

[2]- سناء خضر، النظرية الخلفية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية، ص 43.

[3]- حياة بوعافية، الاغتراب في شعر أبي العلاء المعري، ماجستير، 2008م، 2009م، ص 213.

فالشاعر يتكلم عن الموت وطرق الوصول إليه لأن لولا وجود مشقات وصعوبات لما وصل إليه الإنسان من جهة أما من جهة أخرى للجأ من الدنيا لأنه يعتبره استراحة له.

حيث نجده أيضا يقول:

ودنيانا التي عشقت وأشقت كذاك العشق معروفا شقـــــاء[1]

وهنا نجده يتحسر على دنياه التي عشقها رغبة وأشقاها، وكذلك العشق شقاء، والحب تعس، والهوى هوان أي أنّه بسبب ظروفه المزرية سواء كانت اجتماعية أو سياسية كمثل: موت أمّه وعمّاه وكذلك الحياة السياسية في العصر العباسي القائمة على ظنون الحكماء وكذلك اختلاف الحكم عند السلاطين، حيث نجده يقول: إيه أيّتها الدنيا! لقد سألناك البقاء، فأبيت ذلك علينا، وصرفته عنا، إذا كان الفناء لنا مقدور والبقاء علينا محظورا إذ يقول أيضا:

بعاد واقع فمتى التَّدَاني وبيت شاسع فمتى اللّقاء[2]

وهنا يقول: إيه أيها الراغب في الدنيا الحريص عليها، الذي كذّب حينها ظنون الحكماء، وقد أحبّها الفلاسفة! لقد خدعتك نفسك، وأظلّتك آمالك، فإنما أنت وأصحابك عُرْضَة لموت واقع غير مدفوع، وحمام نازل غير مردود يقول:

مالي غدوت كفاف رؤبة قيِّدت في الدّهر لم يقتدر لها إجراؤها[3]

فهنا نجده يتأسف من الحياة والعالم لأنه أصبح رهين المحبسين حيث شبّه نفسه بقاف رؤبة أرسلها ساكنة ليس لها إلى الحركة سبيل، ونطق بها مقيّدة ليس لها من الإطلاق حظ، حيث أصابته علة ليس لها شفاء لكثرة همومه من المجتمع الذي وجد به ونشأ به.

وقد فضل أبو العلاء المعري الموت على الحياة لأسباب عديدة منها:

إحساسه بخواء الحياة وعبئها، وانعدام الخير فيها، جعله يرى أنه لا سند يرتكز إليه الإنسان سوى الموت، بل إن الموت هو الأمل والمخلص من العذاب، إضافة إلى أن الموت هو الحقيقة الوحيدة والمؤكدة في حياة الإنسان المليئة بالمعاناة.

1- أبو العلاء المعري، اللزوميات، ص 100.

2- أبو العلاء المعري، المصدر نفسه، ص 101.

3-أبو العلاء المعري، المصدر نفسه، صص 105، 106، 107.

وهذا ما نجده من خلال جماليات التحليل الثقافي، الذي يولي الأنساق المتمركزة في البنى النصية أهمية كبيرة للكشف عن تشكلات هذه الأنساق ووظيفتها المؤسسة للمعاني والرموز والدلالات، وبها إن القصيدة الجاهلية تحتوي في بنيتها العميقة مضمرات[1].

وهذا ما يؤكده قول الشاعر:

تبارك إن الموت فرض على الفتى ولو أنه بعض النجوم التي تسري

ورب امرئ كالنسر في العز والعلا هوى بسنان مثل قادمة النســـــر[2]

والشيء الذي يهون على الإنسان ويجعله يتقبل حقيقة الموت هو أنه عابر سبيل في هذه الدنيا ولا محالة هو زائل وراحل منها إلى حياة أخرى حتى وإن كان بدون رضاه فإنه ونتيجة القمر الذي يركبه

من هذه الدنيا يهون عليه الأمر ويتقبله بقوله:

وهوّن ما نلقى من البؤس أننا بنو سفر أو عابرون على جسر

وما يترك الإنسان دنيا راضيا بعز ولكن مستداما على قسر[3]

وهنا يقول في هذا المجال مبينا حتمية الموت على الإنسان بدون اختيار بعد أن تمعن في الحقائق جميعا ووجد أن حقيقة الموت أكيدة ومحتمة على الإنسان وهي واقعة لا محالة.

فالحياة علّة دواؤها الموت وهذا ما يظهر في قوله:

وما العيش إلا علّة برؤها الردى فخلّى سبيلي أنصرف لطياتـــي

ولأن الموت إزالة من هذه الحياة فهو عيد بالنسبة له، ويمثّل له رمز للسعادة والفرح وهذا ما يظهر في قوله:

أنا صائم طول الحياة وإنما فطري الحمام ويوم ذاك عيد

وهنا نجده يعترف بوجود مظاهر السعادة واختلافها من إنسان لآخر والتي يجدها في غير الزهد.

---

[1]– يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي، ص 17.

[2]– أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج1، ص 351.

[3]– أبو العلاء المعري، المصدر نفسه، ص 351.

لنصل إلى أن نظرة أبي العلاء أعظم وأشمل لحاجات النفوس المختلفة، وأن هدفه من هذا هو تبيان لمعايب النفس البشرية ولشرور الحياة وإفادة الإنسانية من خلال إظهار معايبها.

حيث نجده يعترف بعيوب نفسه قبل أن يلوّم الناس على عيوبهم إذ يقول:

بنى الدهر مهلا إن ذممت فعالكم فإني بنفسي لا محالة أبـــــدأ

ومن العجائب أن علا راغـــب في أم دفر وهو من عيّابـــها[1]

فهنا نجده يعيب الدنيا لأنه كان راغب عنها لشدّة رغبته فيها وفي السعادة التي كان يتمناها ولم ينعم بها، وهذا لشدّة الشرور التي عمّت بها ولاضطراب أحوال السياسة وهذا ما أدى به إلى التفكير في البعد عنها وخاصة عند التأثر بحوادثها من موت أمه وكذلك الظلم وعدم الإنصاف والعدل الاجتماعي من طرف الحكام الأمويين.

ومن أجل هذا كان المعري يرى أن الفضائل والرذائل طباع وأن الوعظ والزجر والوعد والوعيد لم تغير من أساس النفس الانسانية على مرّ الدهور فقال:

كم وعظ الواعظون منا وقام في الأرض أنبياء

فانصرفوا والبلاء جاثر ولم يزل داؤك العيـــاء[2]

وقال:

ولو أن الأنام خافوا من العقـــ ـــمي لما جارت الحياة الدماء

وهذا يدل على أن المعري قد بلغ في بعض قوله غاية اليأس وإن كان بعض قوله يدل على أن اليأس طريق صلاح النفس والدنيا وأنه أملا ورغبة في صلاحها.

يقول:

مُلَّ المُقام فكم أُعاشر أمّـــــة أمرتْ بغير صلاحها أُمراؤهـــا

ظلموا الرّعية واستجاروا كيدها فعدوا مصالحها وهم أُجراؤها

وقالوا فُقَيْمٌ قَيِّم الماء فاستجـــز عُبادة إن المستجير على قَتْـــر

عذي زاد متى ما يُكِرُ منـــــه فليـــــس وراءه ثقـــــــة بزاد[3]

---

[1]– أحمد تيمور باشا، أبو العلاء المعري نسبة وأخباره ومعتقده، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ص 101.

[2]– أبو العلاء المعري، اللزوميات، ص 48.

[3]– أبو العلاء المعري، اللزوميات، ص 514.

فمن خلال هذه الأبيات نجد أن – أبا العلاء المعري– يقول لقد طال بي المقام حتى مللت، وطالت عليّ الحياة حتى سئمتها، فكم أنا مُعنًى بعشرة أمّة قد حكمتها الذّلة، وسيطر عليها الظلم، واستبدّ بحقوقها الأمراء يظلمونها أشدّ الظلم، ويعسفونها أقبح العسف، ويكيدون لها شرّ الكيد، ويعدون مصالحها، ويتجاوزون منافعها، وإنما هم لها أُجراء، وعنها وكلاء.

ب– الشّر/ الخير:

يقول

وجدت الناس كلهم فقيــر ويعدم في الأنام الأغنيــاء

تحب العيش بغضا للمنايا ونحن بما هوينا الأشقيــاء:[1]

فبسبب الشرور في مجتمعه نجد الشر قد عظم في هذه الحياة، واشتد حرص الناس عليها، فليس فيهم إلا محب لها ومشغوف بها، حتى جعلهم الحرص كلهم فقراء، لا يعرفون الغنى، ولا يذوقون النعمة، وحتى كان ما فيها من شقاء يغريهم بها، وما في الموت من راحة تصرفهم عنه، حيث نجد مطامع الإنسان العباسي وكذلك كثرة الشهوات والمجون وهذا سبب تغير نفسيته وكذلك تغير العادات والتقاليد والظروف المزرية للمجتمع.

إذ يقول أيضا:

سبحان خالقك الــذي قرت بــه غبراء توقد فوقها خضراؤهــا

هل تعرف الحسد الجياد كغيرها فالبُهم تحسد بينها غراؤهـــا

من خلال هذه الأبيات نجد المعري يقول: أنه لم يعرف للخير ومعا في مجتمعه بسبب انتشار ظاهرة البخل والشر والرذائل وغيرها.

ولسن بدافعات يوم حرب ولا في غارة مغشمات

ودفن والحوادث فاجعات لإحداهن إحدى المكرمات

فهي مصدر فتنة يتعرض لها الرجل يقول:

ولا ترجع بإيماء سلامــا على بيض أشرن مسلمات

أُلات الظلم جئن بشر ظلم وقد واجهنا متظلمـــات

[1]– أبو العلاء المعري، المصدر نفسه، ص 11، 97.

فوارس فتنة أعلام غـــي لقيتك بالأساور معلمـــات

وموطن الزلل بين الرجل والمرأة كثيرة جدا وكلّها ترجع إلى الاختلاط، فقد ألحّ في ألا يدخل عليها من المعلمين إلا الشيخ الفاني أو العجوز الهالك يقول:

ليأخذن التلاوة عن عجوز من اللائي فغرن مهتمـــات[1]

ولو اجتمعت النسوة للعبادة واعتكفن في المساجد لأمكن أن يكون اجتماعهن من أسباب الغواية يقول:

وليس عكوفهن على المصلى أمانا من غوار مجرمـــات

فذمّه لهن جعله لا يتزوّج منهن وهذا ما جعله ينفصل عنهن وينعزل ولا يفكر بالزواج بإحداهن.

وهكذا تحوّل المجتمع بطوائفه وطبقاته أمام أبي العلاء وتحول الناس بين يديه إلى مرضى يريد أن يكشف عمّا في أعماقهم من علل لا ليشفيها بل ليثبت رأيه في فساد المجتمع.

حيث يقول:

ونحن في عالم صيغت أوائله على الفساد فغي قولنا فسدوا

فالفساد عنده كان دوما سائدا، بدءا بآدم وحواء، وعليه فإن الزمن الذي كان كل شيء فيه على ما يرام هو الذي سبق خلق الإنسانيين الأولين، وأن بعد خلق هذا الأخير تعفن العالم وكثرت الشرور فيه.

3- النسق الاجتماعي:

لقد عدّ الأدب عند بعض المدارس الحديثة بأنه تعبير عن المجتمع بمختلف جوانبه، فالمجتمع جزء من الوجود الذي هو موضوع الأدب إلا أن الأديب هو الذي يرى الوجود من خلال ذاته والوجود هنا هو الوجود بكل نواحيه طبيعية أو اجتماعية أو نفسية أو فكرية.

ومن هنا يمكن القول بأن موقف الشاعر من المجتمع ورؤية له يتشكلان عن طريق نظريته الخاصة له التي يتحكم فيها تكوينه النفسي والثقافي والاقتصادي وغيرها، وهذا يعني أن تفتعله معه أو الانفصال عنه ورفضه والخروج عن دائرته، وهذا يعني رفضه

[1]- طه حسين، المجموعة الكاملة، ص 309.

لعاداته وتقاليده وقيمه السّائدة ومن هنا يكون الشاعر قد اغترب من مجتمعه –كأبي العلاء المعري– والذي مثله في شعره في شكل مواضيع أنا وهي:

1– ذم الناس و أضهار معايبهم:

وهنا نجده يعترف بوجود مظاهر السعادة واختلافها من إنسان لآخر والتي يجدها في غير الزهد. فنظرة أبي العلاء أعظم وأشمل لحاجات النفوس المختلفة، و هدفه من هذا هو تبيان لمعايب النفس البشرية ولشرور الحياة وإفادة الإنسانية من خلال إظهار معايبها.

حيث نجده يعترف بعيوب نفسه قبل أن يلوّم الناس على عيوبهم إذ يقول:

بنى الدهر مهلا إن ذممت فعالكم فإني بنفسي لا محاولة أبـــدأ

ومن العجائب أن علا راغـــب في أم دفر وهو من عيّابـــها[1]

فهنا نجده يعيب الدنيا لأنه كان راغب عنها لشدة رغبته فيها وفي السعادة التي كان يتمناها ولم ينعم بها، وهذا لشدة الشرور التي عمّت بها ولاضطراب أحوال السياسة وهذا ما أدّى به إلى التفكير في البعد عنها وخاصة عند التأثر بحوادثها من موت أمه وكذلك الظلم وعدم الانصاف والعدل الاجتماعي من طرف الحكام الأمويين، ومن أجل هذا كان المعري يرى أن الفضائل والرذائل طباع وأن الوعظ والزجر والوعد والوعيد لم تغير من أساس النفس الإنسانية على مرّ الدهور فقال:

كم وعظ الواعظون منّـــا وقام في الأرض أنبيـــاء

فانصرفوا والبلاء جافر ولم يزل داؤك العيـــاء[2]

وقال:

ولم أن الأنام خافوا من العقـ ـمي لما جارت الحياة الدماء

وهذا يدل على أن المعري قد بلغ في بعض قوله غاية اليأس وإن كان بعض قوله يدل على أن اليأس طريق صلاح النفس والدنيا وأنه أملا ورغبة في صلاحها.

1– أحمد تيمور باشا، أبو العلاء المعري نسبه وأخباره ومعتقده، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ص 101.

2– أبو العلاء المعري، اللزوميات، ص 48.

2- النساء: حيث كان للنساء أيضا نصيب وافر من ذم المعري ونقده وأكثر ما كان يثير نقمته عليهن، ما شاع بينهن من تبرج وغواية وغدر وخيانة للأزواج يقول:[1]

ألا أن النساء حبال غي بهن يضيع الشرف التليد

ويقول:

أقل الذي تحيني الغواني تبـــرج يرى العين منها حليها وخضابهـا

فإن أنت عاشرت الكعاب فصادها وحاول رضاها واحذرن غضابهـا

فكم بكرت تسقى الأمر حليلهـــا من الغار إذ تسقي الخليل رضا بها[2]

وقد ذهب المعري إلى أبعد من ذلك حين أقر بأن مجيء البنت فيه بؤس وشقاء ليس منه فائدة ودفنها أحسن من تركها.

لأنه كان يعلم أنه سيظل مدينا لوالديه، وأن رد الدين أن ينجب بدوره، ولكنه صمم من جانب واحد على وضع حد لهذا الفجور الذي ظلّ قائما عبر العصور والأحقاب، لن يتزوج وبالتالي لن ينجب، لن يخلف ولدا يدين له بالحياة، وهكذا سيقضي فيما يخصه على الفساد وعلى نظام الاستدانة.

3- العزلة: حيث يقول:

س**عى لي والداي بغير لب وسيان العرائس والسعالى**[3]

فهنا يظهر أن سبب عزلته هو أنه فجع بموت والدته الذي بلغه وهو عائد من بغداد إلى المعرة، وهذا ما جعله ينعزل عن العالم ويفضل منزله.

4- الاغتراب عن المجتمع وعاداته وأعرافه السائدة: كما نعرف أن شاعرنا –أبي العلاء– نشأ في مجتمع مليء بالشهوات والملذات والقيم الفاسدة والعادات الغريبة والشرور وهذا ما جعله يقول:

فقد فُقد الصدق ومات الهدى واستحسن الغدر وقلّ الوفاء

واستشعر العاقل في سقمـــه أن الردى مما عناه الشفـــاء

أما الهدى فوجدته ما بيننـــا سرا ولكن الضلال جهار[4]

1- ابن العديم، أبو العلاء المعري، دار سعد للطباعة والنشر، مصر، ص 148.

2- حياة بوعافية، الاغتراب في شعر أبي العلاء المعري، ماجستير، 2008م-2009م، ص 172.

3- أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج1، ص 543.

4- أبو العلاء المعري، المصدر نفسه، ص 543.

ولاشك أن سوء الحالة الاجتماعية مرتبط بسوء توزيع الثروة، أو بالمعنى الأصح سوء الحالة الاقتصادية.

حيث قال:

يعرى الفقير وبالدينار كسوته وفي صواتك ما إعداده خرف

إذ يصف لنا حالة الفقير وبؤسه هنا.

4- النسق الديني: فمن خلال فساد المجتمع في العصر العباسي انطبق الفساد أيضا على الناحية الدينية، ولهذا نجد أبي العلاء قد زهد في الحياة ونقد طباع الناس وكذلك أصحاب الدين فنجده تارة يتمنى الزهد و يرفض مجتمعه وما فيه من فساد وتارة أخرى لا ينبذه.

1-الأخلاق- الزهد: حيث نجده يقول:

كرم المهيمن منتهى أملـــي لا نيّتي أجر ولا عملـــــي

يا مُفضلا جلّت فواضلـــــه عن بغيت حتى انتهى أجلي

كم قد أفضت عليّ من نعم كم قد سترت عليّ من زلـــل

إن لم يكن لي ما ألوذ بـــه يوم الحساب فإن عفوك لـــي[1]

فهنا يحثّ على الكرم لأنه من خصال الزهد وهذا بدون مقابل لأن الإنسان زائل، وهذا الكلام خاصة بالنسبة للأغنياء الذين أنعم عليهم الله بالمال والقصور وغيرها باعتبار أن العصر العباسي عصر الأغنياء والذين ألهتهم ملذات الحياة من مجون وزندقة من خلال إسراف هذا المال على هذه الأشياء دون تصديقها على الفقراء والمساكين.

وقوله أيضا:

وزهّد في الخلق مَعْرِفتي بهم وعلمي بأن العالمين هبـــاء[2]

فسبب زهده في الحياة هو أنه عرف طبائع الخلق في عصره من تكبر وبُغض وحسد ، فرآها أنها أمور باطلة لا تستحق أن يتمعن فيها الشخص ويقول أيضا:

ماذا تريدون؟ لا مل تيسر لي فيستماح ولا علم فيقتبـــــس

أتسالون جهولا أن يفيدكـــــم وتحلبون سفيا ضرعها يبس؟

1- أحمد تيمور باشا، أبو العلاء المعري نسبه وأخباره ومعتقده، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ص 112.

2- أبو العلاء المعري، اللزوميات، دط، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ج2، ص 8.

فهنا دلالة على تواضعه الجم وهذا من خلال شخصيته، والتهوين من قيمة علمه وأدبه.

ويقول أيضا:

يرتجي الناس أن يقوم إمـــــام ناطق في الكتيبة الخرســـاء

كذب الظن لا إمام سوى العقل مشيرا في صبحه والمســـاء

فإذا ما أطعته جلب الرحمـــــة عند المسير والإرســـــــاء[1]

وينزله منزلة النبوة في قوله:

أيها الغرّ إن خصصت بعقل فاسألنه فكل عقل نبـــيّ

فهنا تأكيد المعري على الإمامة و "النُّبوة" فيه نقد الإنسان عصره الذي تخلى ممكنات العقل وأحلّ التسليم والخضوع بعنوان قدسية العبادة والقضاء والقدر ويسخر من أوهام بعض الفرق الشيعة التي ترتجي (قيام إمام) "منقذ ومخلص" ويتّضح سبب نقده لهذا الإنسان هو انتشار مجموعة كبيرة من الفرق بمعتقداتها وأن الإنسان الذي لديه عقل ليفكر به عليه أن لا يسير وفق المعتقدات الخاطئة والخضوع لها.

وقوله في إنكار وجود الله:

قلتم لنا صانع حكيم قلنا: صدقتم، كذا نقول

زعمتموه بلا مكان ولا زمان ألا فقولـــوا

هذا كلام له خبيّ معناه ليست لنّا عقـــول

فهنا دلالة على عدم إنكار وجود الله وقول المعري مثل هذا الشعر سببه وجود أشخاص ليس لهم عقول للتفكير أي أنهم لا يفكرون بطريقة لائقة وعجزهم على إدراك كنه ذاته تعالى.

2- الفقر:

فمن خلال أبي العلاء المعري نجد أن الفقر عنصر من عناصر زهده إذ يعتبر عنده متاع زائل بحيث كان لباسه القطن وفراشه اللّبد وطعامه الفول والعدس، وحلاوته التين حيث يقول:[2]

1- أبو العلاء المعري، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، تر : عبد المجيد دياب، ط2، دار المعارف، 1988م، ص 28.

2- تغريد زعيميان، الآراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري وعمر الخيام، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ص 12.

يقنعني بُلْسُنٌ يمارس لـــــي فإن أتتني حلاوة فَبَلَـــــسْ
فلُسَّ ما اخترت إنّ أروح من يسار قارون عفّة وفلـــس

فمن خلال هذه الأبيات نجد أن الفقر عن –أبي العلاء المعري– يعتبر من ملامح الزهد والتواضع ولهذا أصبح طعامه ما ذكرناه سابقا باعتبار أن زهده في الحياة هو الابتعاد عن ملذّات الدنيا التي سادت عصره من ترف ولهو والابتعاد عن الله.

النسق الضدي في شعر المعري:

تتضمن قصائد أبي العلاء المعري في مضمونها العميق أنساقا خفية تتعلق بنظرية إلى الكون بمختلف مظاهره و أضداده و يظهر هذا عن طريق دلالات هذه الأخيرة من حيث هي مقومات ثقافية للمجتمع الفاطمي و التي تتطلب تحاليل ثقافية التي عن طريقها توضح طبيعة المواضيع التي ولدتها هذه الأنساق و عن طريق هذا فإن النص الشعري يعتبر وحدة نسقية متحركة و منفتحة و بذلك فإن كثرة الأضداد في نصوصه الشعرية تبين لنا مدى وعي الشاعر و كذلك معرفة سبب صراعه مع الحياة، حيث يقوم برسم التفاعلات الموجودة في ثنايا هذا الصراع، و لهذا نجده يستعين بأضداد حيث أعاد بناءها عن طريق اللغة.

و بهذا نجد أن النص الشعري من حيث هيكله يتكون من مستوى موضوعي و آخر فني، و عن طريق هذا فإن دراستنا للنسق الضدي في شعر المعري تقوم وفق المستويين المذكورين سابقا:

أ– على مستوى الموضوع من خلال صراعه مع الإحسان و الزمان و المكان.

ب– على المستوى الفني من خلال الثنائيات الضدية و الصور التنافرية و المفارقات اللغوية.

1– على مستوى الموضوع:

إن سبيل دراستنا لشعر المعري وفق هذا المستوى – الموضوع – و بالضبط بواسطة منهج التحليل الثقافي هو استخراج الجماليات الفنية الموجودة في مضامين شعره و كذلك ابراز مدى احتوائه على القيم الأخلاقية و المعرفية إضافة إلى الصياغات اللغوية و الفنية و هذا عن طريق المضمرات العميقة التي تتضمنها نصوصه الشعرية المستنتجة عن طريق تلخيص مجهوده الخاص أثناء صراعه مع الزمان و المكان و الإنسان.

فالمعري يبين للمتلقي ضروبا مختلفة من الصراع، كالصراع مع أفراد مجتمعه ومؤسساته بوصفها انساقا ثقافية و التي من خلالها حاقل أن يجيب عن تساؤلات الفلسفة و خاصة فلسفته العلائية القائمة على جدلية الحياة و الموت.

تتجلى موضوعة الصراع عند أبي العلاء من خلال بروز صوت "الأنا" التي تحاول خلق عالما لها إزاء عالم الغير حيث نجد أن صوت "الأنا" في النص الشعري لأبي العلاء المعري تعمل على تكوين عالمها الذاتي إثر عالم الآخرين، و هنا يكمن الصراع عنده، اذ يستعمل أسلوبا لغويا دقيقا في الكشف عنها يقول:

أراني في قيد الحياة مكلـــــــفا تفاءل أمشي تحتها و أطابق

إذا كنـــــت في دار الشقاء مصليا فإنك في دار لسعادة سابق[1]

فهناك نجد أن أبي العلاء المعري استعان برصيد ثقافي تمثل فيه الأنا دورا هاما اذ نجد أن هذه الأبيات تمثل الأنا بالدرجة الأولى اذ أنها لا تتعلق بالشاعر وحده بل بالثقافة بشكل عام. فضوت "الأنا" في هذه الأبيات لا تتحدث على الشاعر وحده بل تعتبر نسق مشترك، حيث نجده حين يستعمل الأنا ينفي الآخر بالضرورة.

و يقول أيضا:

يزوني القـــوم، هذا داره يمـــن من البلـــد و هذا داره الطبـــس[2]

فالمعري في نصه هذا يضمر أنساقا حيث يجعل من الأنا نسقا متسلطا من خلال استسلامه طواعية لذاته و رؤيته الخاصة للحياة حين أنه لم يستسلم للحياة و الأحياء و القدر بل يقدم لنا صورة الإحسان المليء بروح النضال و الانتصار الوجودي و في أخرى يقدم لنا صورة الإحسان الذي يصطدم مع الآخرين، و هذا يمثل لنا نسقين متضادين في شعره و هذا يمثل لنا نسقين متضادين في شعره و هذان النسقان يتولدان عنهما نسق ثالث أنا و هو النحن (ثقافة المجتمع)[3]

و ما سكبتنا العـــز قط قبيلـــــــــة و لا بات منا، فيهـم أســـــــــراء

و لا سار في عرض السمـــاوات، بارق و ليـــــس له من قومنا خفـــــراء

و لسنا بفقـــــــــــري، باطله، إليكـــم و أنتم إلى معروفنا فقـــــــــــراء

و قد سار دكري في البلاد فمن لهـــــم بإخفـــاء شمس ضوؤها متكامـــــل

[1] أبو العلاء المعري، اللزوميات، دط، دار المعارف، القاهرة، ج1، ص 222.
[2] أبو العلاء المعري، المرجع نفسه، ص 04.
[3] أبو العلاء المعري، سقط الزند، الدار القومية للطباعة و النشر مصر، القاهرة، 1945، 50.00

كأني إذا طلت الزمان و أهلـــــــــــه رجعت و عندي للأنام طوائـــــــل

فمن خلال هذه الأبيات يتبين لنا أنها تحتوي عل نسقين هما: النسق الجمعي الذي يمثل ثقافة المجتمع و النسق الفردي الذي تمثله ذات الشاعر و رؤيته للآخر.

و بهذا نجد أن النسق الفردي عند شاعرنا أبي العلاء المعري لا يتبع النسق الجمعي فهو متمرد عليه و بهذا يصبح النص الشعري وسيلة لإصلاح الواقع بأية طريقة.

فالمعري ضخم الانا ليحقر الآخر لأنه يقدم لنا نسق ضدي لمجتمع تغمره السلبيات أكثر من الإيجابيات فهو يعزز النسق المتسلط من جهته، و يتضاد مع نسق الآخر من جهة أخرى.

– يرتبط الفعل الإحساني في ثقافة المعري بمفهوم القيمة حيث من خلالها يسعى إلى الوصول للمجد و السمو، فإذا اعتبرها نسق اجتماعي يتضمن قيم جمالية و معرفية ثابتة من هنا تبدو عبثية الحياة لديه. و تبدو نزعته التشاؤمية في قوله:

غيـــر مجد في ملتي و اعتقـــادي نوح باك و لا ترنـــــــــم شاد

أبكت تلكـــــــم الحمامة أم غنت على فرع غصنـــــــــــها الميـاد

تعب كلها الحياة فما أعجـــــــب إلا من راغـــــــــب في ازدياد

و بهذا يظهر موقفه العام الذي يتمثل في إصلاح سلبيات الواقع إلى ما يراه إيجابا. و هذا يظهر من خلال رغبته في زعزعة النسق العام المجتمع و ما فيه لصناعة نسق ذاتي.

فالمعري اختار العزلة و ان يكون زاهدا في دنياه معقا لحركة تطور المجتمع على الرغم من تشاؤمه المستمر من الحياة، فهو يتخذ من النسق الرجعي نسقا ضديا، ليعيد بناءه و فق رؤيته الخاصة للوجود، فالبؤس الاجتماعي برأيه يؤدي إلى بؤس اقتصادي و لهذا يلح على تجنب الغنى فيقول:

و ما في الأرض من أحد غني و لكن كلنا فقراء عالة[1]

فمن خلال الأبيات نجده يتخذ نسق ضديا من النسق الجمعي: فالموت نقيض الحياة بكثير وأجمل منها بالخصوص عند أبي العلاء المعري.

لنصل إلى صورته التضامنية مع المجتمع و المتمثلة في علاقته بالمرأة إذ نجده لا يحبذها، حيث استعمل لا أفعال الماضية لدلالة على تأكيد فكرته، إذ نجده تعني عنده الحياة

[1]- عبد الفتاح نافع، الشعر العباسي قضايا وظواهر، ط1، دار جديد لطباعة والنشر، عمان، الأردن،2008، ص 263.

وملذاتها وهي بذلك لا تتماشى مع هذه فالأنوثة تتضاد مع أفكاره، لذلك ضخم نفسه نسقه وجعلها تتصادم مع مجتمعه فأصبحت الأن مستقلة ومتمردة على المجتمع يقول:.

خبرني ماذا كرهت من الشيـــــ ب، فلا علم لي بذنب المشيب

أضاء النهار، أم وضوح اللؤلـــ ؤ، أم كونه كنغر الحبيب؟[1]

فنجد المرأة هنا لا تحبذ المعري لأنه صار رأسه يملأ المشيب ولكن هذا العيب ليس هو من المرأة يولد انطباعا لنزوح الأن من مرأة الحياة حي يسعى إلى تفرد الذات حيث تظهر هنا ثنائية أخرى والمتمثلة في ثنائية النبات، التحول في الوقت الذي نفد النسق النسقي للنسق المتحرك، المجتمع.

فيوجد صورة تصادمية بين الشاعر والمجتمع والمرأة، رغم ذمة للمرأة إلا أنه يحب أمه حيث رثاه بقوله.

مضت وقد اكتملت فخلت أني رضيع ما بلغت مدى الفطام

مضت وكأني مرضع وقد ارتفت بي، الشن حتى شكل فودى أشكال[2]

فهذه الأبيات تدل على علاقة الأم بابنها، فهنا يظهر موقف اعجاب من عالم النسق الجمعي، فالأم نسق إيجابي هدفه بناء عالم إنساني لكن بفعل التحول الذي يجري في الزمن ظهر هناك زمانيين هما:

زمن الحاضر وهو زمن التضاد النسقي بين الأنوثة الجمعي، والمذكر الشاعر.

فالمرأة تلعب دور سلبي عند شاعرنا وهذا يظهر من خلال نصوصه الشعرية التي تتضمن دلالات سلبية تنعكس على هذه الأخيرة أو من خلال الصورتين النسقيتين أمه المرأة عموما وهذا إظهار قصدي واع، لثنائيات ضدية : السلب، الإيجاب، الفرد، المجتمع...

أ- **صراع المعري مع المكان:** يمثل المكان في شعر المعري رمز من رموز الشعرية فهو يعني قيم المجتمع وعاداته وتقاليده وكذألك السعادة والشقاء أما الرمز الثاني فهو الانتقال من عالم يسوده الظلم والفساد إلى عالم الدنيا.

ومن خلال هذا نجده-المعري- يتحدى هذا النسق الثقافي من خلال إثبات مكانه الخاص، إذ نحبه بعدل عن الشهوات والملذات المنتشرة في مجتمعه وكذلك الدنيا والمرأة ويحبذ العزلة والوحدة إذ يقول:[3].

[1]- أبوا العلاء المعري، سقط الزند، ص 412.
[2]- أبو العلاء المعري، اللزوميات، دط، دار المعارف، مصر، ج 2، ص 412.
[3]- أبو العلاء المعري، اللزوميات، ص 30،876.

سعى لي والدي بغير لب وسيان العرائس والسعالى

وقوله:

ظن الحياة عروسا خلقها حسن وإنما هي غول خلقها شرس

فمن خلال هذه الأبيات نجد أن مفهوم الحياة له حدود مكانية، و المعري في رحلته مع الحياة يعيش تناقضاتها، و يوجه أنساقه الثقافية لإظهار رغبته في التغلب على سلبية المكان العام بالانكفاء إلى المكان الخاص حيث يكون لفعله الإنساني سلطة التفرد و التميز. فمن المضمرات التي يثيرها النسق المكاني في عرف المعري موضوعة الجهل، لقد انعدمت وسائل الاتصال بينه و بين مجتمعه لانعدام التفاهم، فتحققت هجرته إلى المكان الخاص.

جـــ- صراع المعري مع الزمان:

يشكل عنصر الزمان دورا هاما في النص الشعري لشاعرنا أبي العلاء حيث تربطه علاقة معه المتمثلة علاقة توتر واحساس مما يجعل الأمر متوقع، وعن طريق هذا يظهر أن هناك نوعان من الزمن: فأول زمن تعاقبي والثاني زمن خاص به.

فمن خلال ثنائية اليل والنهار تبرز لنا جدلية الصراع الإنساني مع الزمن باعتبار أن الليل في الوقت نفسه يدل على أنواع من الأكرة تعد ولا تحصى فهو معاناة وشؤم يبعث في النفس القلق والكأبة إذ يقول.

رب ليل كأنه الصبح في الحسن وإن كان أسود الطيلسان

قدر كضنا فيه إلى اللهو حتى وقف النجم وقفة الجيران

وكأنني ما قلت والبدر طفل وشباب الظلام في العفوان[1]

ويقول:

إذا اهتاج أحمر مستطير حسبت الليل زنجبيلا جريحا

فهذه الأبيات تحمل لنا تأويلات عديدة فالليل نجده يرمز للحزن والمعاناة أما اللون الأحمر فللخطر بينما الأسود يوحي بالشرور وبهذا تتشكل لنا ثنائيات تتمثل في: الليل/ الزنجي، الأحمر/الخطر، الأسود /الشر.

إذ يعتبر الليل ترجمان لمعاناة المعري في نهاره.

[1]- أبوا العلاء المعري، شروح سقط الزند، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، القاهرة، 1945، ص ص 84، 94.

فالليل والنهار والظلمة والنور، إلا رموزا لها دلالات والتي سببها علة الجدري حيث يقول:

الليالي مغيرات السحايـــا كم جعلت الزيفان شرب عيوف

قد غدا القوم للنضار فنالوا ه وبتنا ومن لناب الزيوف

أولا يبصر الفتى الذهبي الأحمر تحدي به نعال السيوف؟

فالسواد في هذه الأبيات تضاد مع البياض لأنهما متقابلان في رؤية الأعمى فاللون الأسود يدل على الظلم والتشاؤم وهذا لأن فلسفته تبحث عن علل الوجود ونتائجه، وامتثاله لعلوم الطبيعة وما وراء الطبيعة والأخلاق.

ويقول أيضا:

واغدوا ولو أن الصباح صوارم وأسري ولو أن الظلام جحافل

والنجم استصغر الأبصار رؤيته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر[1]

فالليل عند المعري ليل مليء بالهموم والمعاناة بينما النجوم فهي تمثل لهذا الليل أفكار المعري التي تفاجئه في ليله الطويل العتمة.

أما الشيب فهو نسق يرمز إلى تحول الإنسان من مرحلة إلى مرحلة، فأحيانا بفرض حضوره السالب في الحياة حيث نجده يتسلط على الفرد مما يجعل قيم الجمال غير موجودة والمعري في شيب يسعى إلى تحويل الحاضر إلى ماض جميل يقول:.

الشيب أبهى من الشباب فلا تهجنه بالخضاب

هذا غراب وذاك باز والباز أبهى من الغراب

رحى الليل فيها أن بيوم شبابه فلما شاب قبل احتلامه[2].

فهنا يظهر أن الصبا وزال إلا أن المعري لا يبكيه بل يحسه وهذا من خلال بروز رغبة الأنا في إثبات وجودها وهنا نجد الشاعر نفسه أمام ثقافتين متناقضتين: ثقافة/الشباب/ الحمل وثقافة الشيب/ الأمل.

لقد حول توالي النهار والليل لون شعر أبي العلاء من أسود إلى أبيض إذ يقول:.

وجدت سواد الرأس يقلب لونه من الدهر بيض يختلفن وجون[3]

---

[1]-أبوا العلاء المعري، سقط الزند، ص 89.

[2]-أبو العلاء المعري، سقط الزند، ص 78.

[3]- أبو العلاء المعري، سقط الزند، الدار القومية للطباعة والنشر مصر، القاهرة، 1995، ص 165.

فهنا تظهر لنا ثنائية الليل والنهار إذ يعتبر الليل محطة همومه حيث تقل سمعه وفقد أن بصره أما النهار فهو المخلص الوحيد من هذه الأحاسيس الحزينة المؤلمة وبهذا يعتبر الليل فضاء الحزن أما النهار فهو بالنسبة إليه راحة وطمأنينة من تلك الأحزان المتمثلة في وفاة والديه وغيرها من الآلام المحزنة.

وهكذا يرى المعري أن هناك ثنائية في هذا الكون المتمثلة في المكان والزمان إذ يعتبر المكان وعاء للموجودات كما أن الزمان ظرف للأحداث[1].

3- على المستوى الفني:

من خلال النصوص الشعرية نكشف صراعات الأضداد وفق منهج التحليل الثقافي والمفارقات الموجودة بين هذه الأخيرة –الأضداد– من التصادم والتآلف.

أ- الثنائيات الضدية:

لقد أشار الغذامي في كتاب النقد الثقافي إلى وجود نسقين متضادين متلازمين في النصوص الأدبية، أحدهما نسق ظاهر والآخر مضمر في بنية النص.

وهذا ما أطلق عليه يونغ "الرمز الموحد" أو "التأليف الأعلى للمتضادات"، وهذا نجد أن الثنائيات الضدية تشكل مكونا مهما من مكونات الخطاب الشعري، والتي عبر وظيفتها المستمرة تكشف أنماط لأنساق متضادة داخل النص الشعري، إذ بفضلها تتحد هذه الأخيرة عند الشاعر وعن طريقها يبين تصورات اتجاه الحياة والكون.

وعن طريق هذا نجد على سبيل المثال: في شعر المعري ثنائية **الغنى/الفقير**، فنجد المعري ضد الغني عكس المجتمع الذي يتبناه، فالمعري عن طريق هذه الثنائية يولد أنساق أخرى مضمرة لثقافة المجتمع يقول:

يعري الفقير بالدينار كسوته وفي صواتك ما إعداده خرف[2]

ويقول أيضا:

يعدو الفقير وكل شيء ضده والأرض تغلق دونه أبوابها[3]

[1]- تغريد زعيمان، الأراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري وعمر الخيام، ط1، الدار الثقافية للنشر مصر، القاهرة، ص 215.

2- أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج2، ص 543.

3- مصطفى صالح كشاف، مصادر دراسة أبي العلاء المعري، مطبعة العلم، دمشق، 1978م، ص 326.

فمن خلال الأبيات نجد أن نظرة أبي العلاء المعري لثنائية الغني/الفقر، تختلف عن نظرة مجتمعه، فقد جعل حب المال سبب لانحراف الإنسان لأنه يوجهه إلى أشياء لا تستحق أن يتعب الإنسان من أجلها أو يدخله في محرمات لا يحمد عقباها.

وتظهر من جدلية الفساد/الإصلاح، ومن خلال علاقة المعري بالمرأة ثنائية أخرى المتمثلة في ثنائية اتصال/انفصال فنجده قد انفصل عن الدنيا وملذّاتها فاختبار العزلة في حياته ومن خلال هذه الثنائية الضدية نجد أن المعري يعيش هذه الأخيرة مع النسق الجمعي، لنصل إلى أن الألوان أيضا لها دور كبير في الإفصاح عن الأنساق الثقافية الخفية، تخلق صورة فنية تبين نظرة المعري للحياة، حين عن طريقها –الألوان– قام بنقد ثقافة المجتمع، إذ نجد تضاد الألوان تظهر من خلال ثنائية الأبيض والأسود لدى المعري فيقول:

ظن الدجى فضة الأظفار كاسرة والصبح نسرا فما ينفك مزودا[1]

فهنا نجد أن اللونين الأبيض/الأسود حقيقة نفسية المعري، حيث يحملان تأويلات نفسية، إذ جمع المعري هذه الثنائيات وفق نحو جمالي من خلال الصراع القائم في نفسه.

الحياة/الدنيا: تعتبر ثنائية الحياة/الموت من بين المواضيع الأكثر اهتماما لدى أدباءنا، حيث نجد أن المعري تارة يحبذ الحياة وتارة أخرى يهجوها لأنه رأى أن حبه لها يُجلبه المتاعب واليأس حين يقول:

أصاح هي الدنيا تشابه ميتة نحن حواليها الكلاب النوابح[2]

فالحياة في الطريق المؤدى إلى الموت يقول:

حياة العباد سبيل النفاذ وما ابيضّ فودك حتى حلك[3]

بل الحياة هي مقدمة الموت، وهو نتيجة لازمة لها.

1– أبو العلاء المعري،سقط الزند، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، القاهرة، 1945م، ص 79.

2– عبد الحفيظ بولخراص، الغربة والحنين في شعر ابن حمد حسين الصفلي، رسالة ماجستير، جامعة فرحات عباس، سطيف، 2005م، ص 148.

3– أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، دط، منشورات محمد علي بيضون، دار العلمية بيروت، لبنان، 2004م، ج1، ص ص 9، 602، 144، 37، 296.

فأبو العلاء يصور الحياة على أنها صراع بين الأيام التي تمل من إيذاء الناس بحوادثها الواقعة التي لا تلائم أهواءهم وأغراضهم، والنفوس لا تحل من الاستسلام للآمال مع الأماني.

ومن هنا نجد أن هناك ثنائية تتمثل في الوجود والانعدام[1].

كانت تتمثل في الزهد والعزلة لأنه في مكانه الخاص يصنع الرؤية لهذه الأخيرة ولمظاهرها المذكورة سابقا.

لقد صارع المعري الحياة من خلال أنه حياة مليئة بالشرور وهذا ما أثر عليه ودفعه إلى تحديها عن طريق مكانه الخاص وبالخضوع له، يقول:

مغاني اللّوى من شخصك اليوم أطلال وفي النوم مغنى من خيالك محللا

صحبت كرانا والركاب سفائـــــــن كعادك فينا والركائب أجمـــــــال[2]

فالمكان رمز للتمرد بينما الطلل وسيلة تجعل الشاعر يستحضر في فكره صورتين والمتمثلتين في ثنائية الحياة والموت إذ أن وجود التنافر بينهما يحيّر الشاعر.

إنه يتحدى الطلل بوصفه نسق ضدي يتشكل في حالة الحلم والذي يمثل مكان ثاني ثانوي بالنسبة للمكان العام حين عن طريق مكانه الخاص نجده قد تغلب على الأنوثة، فأشعر المتلقي بأحسن ذلك المكان الخاص به على الرغم من عيوبه.

ويقول أيضا:

أما الحياة ففقر لا غنى فيها والموت يغني فسبحان الذي قدرا[3]

فمن خلال هذا البيت نجد أن أبي العلاء المعري يظهر الإرادة في تحدي سلبية المكان العام والذي يمثل مجتمعه بثقافته المختلفة وهذا بالعزلة إلى مكانه حيث هناك يكون فعله هو المتسلط على تفرده وتمييزه وبهذا نجد هناك انعدام للاتصال بينه وبين مجتمعه لانعدام الحوار والتفاهم، فتحققت هجرته إلى المكان الخاص.

كما لا ننسى التعريج على ثنائية **الخير/الشر:** فمن خلال دراسة أبي العلاء لمجتمعه وجد أن نسبة الخير أقل أما الشر فقد تملك مجتمعه وذلك لحب أهل عصره لهذه الدنيا

1- تغريد نعمان، الآراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري وعمر الخيام، ط1، الدار الثقافية للنشر مصر، القاهرة، 2003م، ص 206.

2- أبو العلاء المعري، شروح سقط الزند، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، القاهرة، 1945م، ص 50.

3- أبو العلاء المعري، اللزوميات، ص 80.

المليئة بالشرور والفوضى وانتشار للشهوات والمجون والرذائل بإحساسه لانعدام الخير فيها، فوجد لا سند يرتكز عليه الإنسان سوى الموت فنجده يقول:

لعمري لقد نام الفتى عن حمامـــه إلى أن أتاه حتفه متوســـــلا

إذا ما فعلت الخير فاجعله خالصا لربك وازجر عن مديحك ألسنا

فكونك في هذي الحياة مصيبـــة يعزيك عنها أن تبر وتحسنها[1]

فمن خلال هذه الأبيات نجد أن المعري يحثّ الإنسان على فعل الخير لقلّته في حياته خالصا لوجه ربه لأن مصيره الموت والفناء لا محالة وقوله أيضا:

ادفع الشر إذا جاء بشر وتواضع إنما أنت بشر

يا غرابا همُّه في غارة يتمنى أقطا فوق مشـــر[2]

وكذلك قوله:

الشر طبع ودنيا المرء فائدة إلى دُناياه والأهواء أهوال[3]

وقوله كذلك:

تعب كلها الحياة فما أعجـــــب إلا من راغب في ازديـــــاد[4]

فمن خلال هذه نجد أن المعري يسخر من الشر العبثي على الحياة وذلك بسبب عدم اتصال أبي العلاء بالسياسة.

يقول:

أخلاق سكان دنيـــــانا معذبـــــة وإن أتتك بما تستعذب العــذب

سمّوا هلالا وبدرا والذرى وضحّى وفرقدا وسماكا شذا كذبـــــوا

فهنا نجد أن بسبب انتشار الأخلاق الفاسدة في مجتمع أبي العلاء كثر الشر وقل الخير.

يقول أيضا:

ادفع الشر إذا جاء بشـــر وتواضع إنما أنت بشـــر

1- طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء، ط8، دار المعارف، مصر، القاهرة، ص 30.

2- ينظر، المرجع نفسه، ص 55.

3- أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج2، ص 465.

4- أبو العلاء المعري، شروح سقط الزند، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، القاهرة، 1945م، صص 977، 115، 117.

يا غرابا همُّه في غـــارة يتمنى أقطا فوق مشـــــر

نحن في ليل علينا دامس كيف للمدلج بالصبح جشر

فهنا يدعو الشاعر إلى التواضع في التعامل مع الناس لأنه يتأثر عندما يشاهد الشرور المنتشرة في مجتمعه ويدعو هؤلاء إلى فعل الخير والتخلص من الشرور والفساد[1].

المفارقة اللغوية:

إذا نظرنا إلى النصوص الشعرية نجدها مليئة بالمفارقات اللغوية التي تهدف إلى خلق مواضيع متضادة فيما بينها من خلال نظرة الشاعر للكون واستعانته بثقافة مجتمعه.

حيث يعني الوعي الشديد للتناقض الموجود داخل نفسية الشاعر والتي تظهر عبر أعماله الأدبية.

وقد وجدنا أمثلة تدل على هذه الأخيرة في صورة الحياة والموت لدى المعري حيث يقول:[2]

أما الحياة ففقر لا غـــــنى معـــه والموت يُغني فسبحان الذي قدرا

لو أنصف العيش لم تذمم صحابته وما غدرنا ولكن عيشنا غـــدرا

فنجده هنا يتمنى الموت لأن الحياة غير دائمة ومليئة بالملذّات والصُحبة غير اللائقة فهو كأنه ينصح الفرد على اختيار الأصدقاء المميزين في الحياة.

يشكل الزهد في ثقافة المعري أداة المواجهة فكر الإنسان بما أن مصيره الفناء والزوال.

فنجد هنا النسق الفردي ينتصر عن النسق الجمعي حين يقول:

هذا جناه أبي علي وما جنيت على خد[3]

لقد فارق النسق الجمعي حقا، فهو لم يجعل النسل والزواج هدفه في الحياة حين يقول:

فليت حواء عقيما غدت لا تلد النـــاس ولا تحبل

1-تغريد نعمان، الآراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري وعمر الخيام، ط1، الدار الثقافية للنشر مصر، القاهرة، 2003م، ص 213.

2- ينظر، سقط الزند، ص 33.

3- حسين جمعة، أدب الخيال في رسالة الغفران، ص 11.

فنجده هنا موجب يتحول إلى سالب، إذ نجده –الشاعر– يضحي بحياته من خلال معرفته للحياة معرفة عميقة.

خاتمة

خاتمة:

وفي الختام أقول أنه لعل من أبرز النتائج التي توصلت إليها هذه الأطروحة، وهي تبحث عن خفايا النص الإبداعي عند المعري من خلال منظور القراءة والتأويل ما يأتي:

– أن العامل الرئيس الذي كان وراء اتخاذ قرار العزلة هو مزاجه وتفكيره وشخصيته.

– إن ما يميز المعري هو ممارسة الشعرية بفعالية، كما تبلور لديه وعي كبير في فهم الخطابات الإبداعية والأنساق الذهنية.

– أن نصوصه الشعرية تقوم على نهج خاص به، حيث نجد على مستوى الشكل قد اختص بنظم اللزوميات وألزم نفسه فيما لا يلزم، أما من حيث المضمون فلم ينظم قصائده في الغزل والرثاء والهجاء إنما اختص بالتعبير عن أحاسيسه وهمومه وتأملاته اتجاه القضايا الكونية والإنسانية والفلسفية.

– إن تأملات المعري هي تأملات عميقة حيث من خلالها كشف لنا العيوب النسقية التي اتصفت بها النصوص السالفة، حيث نجده رافضا للواقع المعيش المفروض وجمالياته الخفية.

– أن استعمالنا للأنساق الثقافية هو الوصول إلى المعاني العميقة التي تتضمنها نصوص المعري.

– أن سبب اغترابه عن أهله وموطنه هو الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية المزرية المنتشرة في مجتمعه.

– أن الوسيلة الوحيدة للتخلص من –الاغتراب– هو العزلة والزهد.

– أما من خلال الأنساق المدروسة سابقا نجد أن النسق السياسي يتضمن: الاغتراب الزمني إذ نجد فيه الشاعر وأحداث الدّهر النسق الاجتماعي يتضمن: الاغتراب عن الناس والمجتمع، النساء كذلك العزلة، النسق الفلسفي كذلك يتأسس على: ثنائيات الحياة والموت، الشاعر والموت وكذلك الشر والخير.

أما النسق الديني وفيه الزهد والفقر.

كذلك من خلال دراستنا للثنائيات الضدية في شعر أبي العلاء المعري وجدنا أن هناك مستويين هما: المستوى الموضوعي القائم على:

– صراع الإنسان مع الإنسان ويظهر هذا من خلال صراعه مع أفراد المجتمع ومؤسساته، إذ انتشار القيم الفاسدة وانقلاب الموازين وتفشي العادات والآفات السيئة جعلته ينفصل عن مجتمعه حيث شمل هذا الصراع مواضيع عديدة منها: الاغتراب عن الناس الذين هم في نظره سبب المشاكل الاجتماعية.

– صراع الإنسان مع المكان وهذا من خلال تحدي المعري للنسق المكاني وهذا من خلال هجره من بلده إلى بغداد لأسباب وظروف معيشية.

– صراع المعري مع الزمان إذ نجده ينعت النوائب والأحداث التي عايشها في وقته وعصره.

وعن طريق هذا تشكلت لنا عدة ثنائيات ضدية هي: ثنائية الشر والخير، ثنائية الموت والحياة، ثنائية المكان والزمان.

بإضافة إلى اكتشاف صور تنافرية وكذلك مفارقات لغوية في أشعار أبي العلاء المعري.

وفي الأخير لعلي قد أسهمت في تبيين –قدر المستطاع– للجانب الخفي لدى شاعر يعدّ من بين الشعراء المثيرين للاهتمام خاصة أشعاره التي كانت خير ترجمان لمضمرات نفسه وعقله، فأرجو أن أكون قد وفقت في رسم صورة واضحة عن هذا الموضوع، هذا الشاعر الذي يعجز الإنسان عن فهمه لطبيعة سلوكه المميز وحسّه المرهف، والله الموفق وهو الهادي إلى طريق الرشاد.

قائمة المصادر

و المراجع

قائمة مصادر والمراجع

أولا:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع، ط2، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2009م.

ثانيا: المصادر

1- أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي (أبي العلاء المعري): ديوان لزوم ما لا يلزم، دط، دار المعارف مصر، دت، ج1.

2- أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي: ديوان الفصول والغايات، دط، در المعارف، مصر، القاهرة، 1940م.

3- أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي: ديوان سقط الزند، دط، دار النشر بيروت، لبنان، 1907م.

4- أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي: رسالة الصاهل والشاجح، دار المعارف مصر، القاهرة، دت.

5- أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي: رسالة الغفران، ط1، طبعت بالمطبعة الهندية بالموسيكي، مصر، القاهرة، 1907م.

ثانيا: المراجع:

6- ابراهيم السامرائي: مع المعري اللغوي، ط1، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، 1984م.

7- أبي العلاء المعري: أبو العلاء ودفاع ابن العديم عنه، دار سعد للطباعة والنشر، مصر، القاهرة، 1945م.

8- أبي العلاء المعري: المهرجان الألفي لأبي العلاء، دط، دار صادر بيروت، لبنان، 1863م.

9- أحمد تيمور باشا: أبو العلاء المعري نسبه وأخباره شعره ومعتقده، دط، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، القاهرة، 1940م.

10- تغريد زعيميان: الآراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري وعمر الخيام، ط1، الدار الثقافية للنشر مصر، القاهرة، 2003م.

11- سناء خضر: النظرية الخلقية عند أبي العلاء بين الفلسفة والدين، دط، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، القاهرة، دت.
12- عبد الفتاح كيليطو: أبو العلاء المعري أو متاهات القول، دط، دار توبقال للنشر بيروت، لبنان، 1982م.
13- عبد الفتاح نافع: الشعر العباسي قضايا وظواهر، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع عمان، الأردن، 2008م.
14- عبد القادر محمود: رحلة إلى الدار الآخرة، ط1، الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية، مصر، القاهرة، 1997م.
15- عبد الله الطنطاوي: حركة الشعر بين الفلسفة والتاريخ، دط، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، 1992م.
16- محمد سليم الجندي: تاريخ معرة النعمان، ط1، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، دمشق، 1963م، ج1.
17- يوسف عليمات: جماليات التحليل الثقافي في الشعر الجاهلي نموذجا، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الأردن، 2004م.

رابعا: المعاجم:

1- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور): لسان العرب، دط، دار المعارف للنشر والتوزيع مصر، القاهرة، دت.
2- أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تج محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، دت، ج1.
3- شوقي ضيف: المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية مصر، القاهرة، 2004م.
4- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي: قاموس المحيط، تج محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع بيروت، لبنان، 2005م.

خامسا: الرسائل الجامعية و البحوث:

1- آمنة قروات وآمال مخلوف: أثر الحركة الفلسفية في العصر العباسي "أبو العلاء المعري أنموذجا"، مذكرة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي، 2012م، 2013م.

2- حياة بوعافية: الاغتراب في شعر أبي العلاء المعري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، 2008م، 2009م.

3- ريما عبد الكريم رجوب: أثر القرآن في شعر أبي العلاء المعري، أطروحة لنيل درجة الماجستير في النقد القديم، 2009م.

سادسا: المجلات:

1- مجلة الدراسات والبحوث "بين المعري والخطيب التبريزي"، العدد 529 تشرين الأول، 2007م.

2- مجلة فصول في النقد الأدبي، العدد2 يناير/ فبراير/مارس، 1984م.

سابعا: مواقع الأنترنيت:

الموقع www.al-mostafa.com to 2014-02-05.

فهـــــرس

- مقدمة .....أ–د
- مدخل: الأنساق الثقافية المفهوم و النشأة و التطور 7–16
- مفهوم النسق 7
- مفهوم النسق الثقافي 8
- النسق كمصطلح.....10
- أنواعه.....10
- نشأة الأنساق الثقافية.....12

الفصل الأول: الشاعر وعصره.....18–39

- التعريف بالشاعر.....18
- عزلته ووفاته.....19
- شخصيته وأخلاقه.....20
- فلسفته.....23
- أهم أعماله الأدبية.....25
- لغته وأسلوبه.....28
- الحياة السياسية والاجتماعية في عصره.....31
- الفصل الثاني: الأنساق الثقافية في شعر المعري.....41–75

1– ثقافة أبي العلاء المعري.....41

2– أهم الأنساق الثقافية في شعر المعري.....44

1– النسق السياسي.....44

2– النسق الفلسفي.....48

3–النسق الاجتماعي.....57

4–النسق الديني.....60

5–النسق الضدي.....62

أ– على مستوى الموضوع.....62

ب– على المستوى الفني.....68

خاتمة.....74
- قائمة المصادر والمراجع.....77
- فهرس الموضوعات
- الملخص

المخلص:

لقد مرّ الأدب العربي بعدة مراحل عبر مختلف العصور ابتداء بالعصر الجاهلي، إلى غاية العصر العباسي الذي عرف تغييرا ملحوظا في كل المجالات، لاسيما المجال الأدبي، الذي يعرفنا على الحضارات العربية، وما هذا البحث إلا محطة لمعرفة أسرار الحضارة خاصة العصر العباسي الذي اختلطت فيه الثقافات وامتزجت الحضارات، إذ أحدث هذا الاختلاط الثقافي والامتزاج الحضاري ثورة في الاجتماع والسياسة والاقتصاد.

ومن خلال هذا وجدنا أن بحثنا المتمثل في "الأنساق الثقافية الضدية في شعر المعري" يُحيلُنا إلى خبايا هذا العصر خاصة وأن هذا الموضوع، –على علمي– لم يُتناول بالدراسة من قبل، رغم كثرة الدراسات حول هذا الشاعر وشعره، هذا من جهة ومن جهة أخرى حاولنا أن نطرح فيه قضايا متناقضة ناشئة من مجتمع العصر العباسي الذي يعتبر عصر الحرية اللامحدودة بالنسبة للشعراء الذين انطلقوا يعبرون عن مشاعرهم ومشاكل عصرهم دون خوف، فعبروا عن قضايا ومشاكل روح العصر.

وبهذا يظهر من خلال وضعنا لخطة البحث المتمثلة في:

مدخل بعنوان: "الأنساق الثقافية المفهوم والنشأة والتطور" من خلال وضع تعريف للنسق لغويا واصطلاحا عند العرب والغرب وكذلك نشأة الأنساق الثقافية.

أما الفصل الأول فخصصته بعنوان "الشاعر وعصره" الذي احتوى على العناصر التالية:

- التعريف بالشاعر
- شخصيته وأخلاقه
- فلسفته
- عزلته ووفاته وكذلك أهم أعماله الأدبية.
- العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية في شعر المعري.

والفصل الثاني بعنوان "دراسة الأنساق الثقافية في شعر المعري" حيث وضعنا:

أولا: ثقافة أبي العلاء المعري.

ثانيا: أنواع الأنساق الموجودة في شعر أبي العلاء المعري.

بإضافة إلى النسق الضدي الموجود وفق مستويين في النص الشعري لأبي العلاء المعري: 1– المستوى الموضوعي المتضمن:

- صراع المعري مع المكان
- صراع المعري مع الزمان

كذلك تعرضنا للمفارقات اللغوية الواردة في شعره.

لنختم بأهم النتائج المتحصل عليها والتي تتمثل في:

- أن هدف هذا البحث هو تأكيد القيمة الوظيفية التي تؤديها الأنساق الثقافية في بنية نص المعري.

- وكذلك النسق المضمر في نص المعري لا يتخذ دلالة أحادية المعنى، لكنه يبدو حاملا لأنساق دلالية متعددة ما يجعل النص الشعري سيرورة نفسية واجتماعية وثقافية.

إن دراسة الأنساق المتضادة في النص تضع فكرة النسق المتعدد أمام المتلقي، فالنص الشعري يمثل ظاهرة متسمة بالحركية والانفتاح، وهذا ما يجعل للنص الشعري خصوصية التعدد القرائي، وميزة التأويل الثقافي.

- يشكل المكان والزمان ثنائية نسقية تعكس موقف المعري من مضامين هذه الأخيرة، لذا يسهم بدوره في إثارة أنساق الزمان والمكان، ومن ثم إشكاليات الوجود لا لمجرد الإثارة والرصد فحسب وإنما ليأخذ من عالم الإثارة وسيلة لإثبات مركزية الإنسان الإيحائي في خلق التجربة.

- كذلك تعتبر الأنساق الثقافية الإيحائية والسلبية والجمالية والقبحية والمجاوبة والمتصادمة على تواليها وتناميها في النص تشكل وظيفة جمالية لدى الشاعر.

- أن هناك محمولات ثقافية للنسق في نصوص المعري من خلال استحضار المعري لعالم الأضداد التي وجدها في مجتمعه لكي يعيد تشكيلها بفعل اللغة، وهذا حتى تتوالد الأنساق المتحولة القادرة على استيعاب تصوراته حول إشكاليات الكون والوجود.

- أن الثنائيات الضدية لها فاعلية في بناء النص الشعري من خلال توالد الأنساق وتناميها.

- أما المفارقات الشعرية فقد ظهرت من خلالها صورة الشاعر.

Résumé

La littérature arabe est passée par plusieurs étapes à travers les époques, à partir de l'ère préislamiques jusqu'à l'ère abbasside qui a connu un changement observable dans tous les domaines surtout le domaine de la littérature arabe, qui nous introduit dans les civilisations arabes et ce que cette recherche qu'une station pour découvrir les secrets de la civilisation, en particulier l'époque abbasside rendu les cultures et les civilisations mixtes, ce mélange de la culture et la civilisation a provoqué une révolution dans la société, la politique et l'économie.

Et grâce à cela, nous avons constaté que notre recherche qui présente « les modèles culturels antonymes dans le poème d'ELMAARI »nous amènes aux mystère de cet âge, compte tenue en particulier ceci et cela – sur scientifique- pas abordé par l'étude malgré le grand nombre d'études sur le poète et sa poésie d'une part et d'autre part, nous avons essayé de poser les questions contradictoires découlant de communauté abbasside ère de la liberté non-limitée ce qui a conduit les poètes à exprimer leurs sentiments et leurs problème de l'époque sans avoir peur.

Avec cela, les modèles culturels signifié une étude des textes littéraires en révélant secrète qu'ils contiennent des miniatures par lame littéraire trouvé dans les texte poétique liée à la culture de l'obstacle et aussi la vie de « Abu Ala-ELMAARI » pleine de catastrophes à un âge précoce depuis la perte de sa vue et la mort de ses parents ainsi que les conditions sociales, économiques et politiques de ployés dans la société l'injustice et les maux qui ont surmonté les gens de cette époque et à travers cela d'autres conditions sont apparus dans la société dans le cadre de la connaissance une autre image de la contradiction dans la vie et c'est ce que nous trouvons dans les textes d'ABU Ala-ELMAARI ce qui nous a révété les modèles culturels dominants en son temps par l'invocations des antonymes et remodelé par la langue ce qui a engendré des images différente à débattre sa lutte contre la société, l'éternité… ce sont des modèles culturels d'après lesquels a posé beaucoup de questions sur le sujet de la vie et la mort et vise à confirmer le rôle de l'homme dans la réalisation des valeurs du laid et du bran dans la vie.

Et cela se montre d'après le plan de recherche que nous avons mis :

- Entrée : « Le poète et son temps ».
- Définition du poète.
- On caractère et la morale.
- Sa philosophie.
- L'isolement et la mort, ainsi que des œuvres littéraires les plus importants.
- Les facteurs politiques, sociaux, économiques et intellectuels dans le poème « d'Abu Ala-ELMAARI ».

En revanche le premier chapitre est sacrifié sous le titre de les modèles culturels dans le poème d'ELMAARI », et le deuxième chapitre titré : « L'étude des modèles culturels dans le poème d'ELMAARI » ou on a mis premièrement :

- La culture d'ELMAARI.
- Les types des modèles existants dans le poème d'ELMAARI.

En plus des niveaux de contradiction des configurations existantes conforment au texte poétique d'Abu Ala-ELMAARI.

- Nive à l'objectif, contenant :
- La lutte de l'homme avec la chante.
- Conflit d'ELMAARI avec le lieu.
- Conflit d'ELMAARI avec le temps.

Aussi, nous avons un les images poétiques contradictoire les plus importantes ce qui nous amène à conclure les résultats obtenus et qui se représentent dans :

- L'objectif de notre recherche est de confirmer la valeur des modèles contradictoire dans la construction des textes d'Abu Ala-ELMAARI.
- L'étude de modèle dans le texte mis s'opposer à l'idée de multi-échelon en avant du récepteur.
- Le texte est phénomène poétique marquée par l'ouverture et la dynamique et c'est ce qui rend la lecture de recensement de la vie privée poétique du texte et de l'interprétation de la fonction culturelle.
- Le temps et le lieu représente la psychologie d'Abu Ala-ELMAARI.

Ainsi que les modèles culturels sont considérés comme tout à fait positive et négative construit une fonction esthétique chez le poète.